جواب الشبهات المثارة
حول
شيخ الإسلام ابن تيمية

أجاب عنها

د. عبدالقادر بن مُحَمَّد الغامدي

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم , يدْعون من ضلَّ إلى الهدى , ويصبرون منهم على الأذى , يُحيُون بكتاب الله الموتى , ويبصِّرون بنور الله أهل العمى , فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه , وكم من ضال تائه قد هدوه , فما أحسن أثرهم على الناس , وأقبح أثر الناس عليهم , ينفون عن كتاب الله : تحريف الغالين, وانتحال المبطلين , وتأويل الجاهلين , الذين عقدوا ألوية البدعة , وأطلقوا عقال الفتنة , فهم مختلفون في الكتاب , مخالفون للكتاب , مجمعون على مفارقة الكتاب , يقولون على الله , وفي الله , وفي كتاب الله بغير علم , يتكلمون بالمتشابه من الكلام , ويخدعون جهال الناس بما يشبِّهون عليهم , فنعوذ بالله من فتن المضلين) , وصلى الله وسلم على إمام المرسلين , عبدالله ورسوله مُحَّد بن عبدالله النبي الأمي وعلى أزواجه وذريته وأصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين , صلاة وسلاماً دائمين بدوام دار السلام , وبعد ؛

فما بين القوسين السابقين خطبة الإمام أحمد بن حنبل في كتابه (الرد على الزنادقة والجهمية) أولى من انطبقت عليه بعد الإمام أحمد تلميذه البار وصاحبه الكبير شيخ الإسلام ابن تيمية , وإن كان تتلمذه عليه من خلال كتبه وما نقل عنه , وهذا في مقدمة الجواب على الشبهات المثارة حول شيخ الإسلام , وأصل هذه الجوابات استضافة كريمة من الإخوة الفضلاء في موقع شبكة (صوفية حضرموت) وهو موقع تخصص في كشف حقيقة صوفية حضرموت والرد عليهم فجزاهم الله خيراً ونفع بهم المسلمين , فجمعوا هذه الشبهات مما ورد عليهم من السائلين , وبعضها من بعض الكتب , ومن الشبكة العنكبوتية , وقد أبقيت على هذه الشبهات كما هي كما وردتني إلا أني أصلحت الأخطاء الإملائية فيها , وحذفت ما كان خارج المقصود منها .

ومعلوم أن الدفاع عن علماء المسلمين من أعظم الواجبات , وتعظيمهم من أعظم المهمات , بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الدليل على بطلان التحليل) ص153 : (دين الإسلام إنما يتم بأمرين : أحدهما معرفة فضل الأئمة وحقوقهم ومقاديرهم وترك ما يجر إلى ثلبهم ..) , ونحن نشهد هذه الهجمة الشرسة من أعداء الإسلام والسنة على هذا الإمام , وليس هذا بغريب , بل علامة الإرث الصحيح , والسير على الطريق السوي الصريح ,

فالدفاع عنه دفاع عن الإسلام والسنة , وهو من فروض الكفايات , فقد كان هذا الإمام علماً شامخاً لوحده , وكان عالماً بحراً مناضلاً عن الإسلام والسنة , لم يدع مجالاً من مجالات الدفاع عن الإسلام والسنة إلا وسلكه بقدر ما أعطاه الله , هجر اللذات , وزهد في المغريات , وكيف يبيع رضوان المعبود والباقيات الصالحات بالفانيات الدانيات , فلله درُّه , لقد قدم للمسلمين وأهل السنة ما عجزت عن تقديمه المؤسسات والدول , فسبحان من علمه و زهده , وسدده وهداه , كما نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً .

وقد ظهر هذا الإ مام شيخ الإسلام في وقت كادت أعلام الإسلام أن تطمس , ورايات السنة أن تُنكس , فأعاد الله به هذا الدين جذعاً كأنه في ذلك الوقت أنزل , فدعا الناس إلى ترك التلقي في مسائل الدين من خارج الوحي , ودعاهم بكل قوة ويقين إلى العودة إلى النبع الصافي والمشرب الوافي , ولم تأخذه في سبيل ذلك لومة لائم , كان غريباً لكن فذّاً لم يزدد بغربته في الله إلا عزّاً , ترك الناس أحوج ما يكون إليهم , لم يثنه السجن ولا السب والتبديع ولا التكفير والتهديد عن الصدع بالحق , فنصر الله به الدين , وكشف به زيغ الملحدين , وكتب الكتب التي لا أعلم بعد كتاب الله وسنة رسوله أعظم ولا أجل ولا أفخم منها , إذا فهمها العالم المؤهل لها أصبح في زمانه إماماً , وبين أقرانه فذّا .

بل لا أعلم عالماً مبرزاً على نهج السلف في الأصول والفروع بعده إلا من استفاد من كتبه وعكف على تراثه , فمن حسناته أنه تخرج على يده أجل العلماء المتأخرين , فأين في المتأخرين مثل ابن القيم أو ابن كثير أو الذهبي ! كل منهم جامعة بمفرده , وصدق والله حذام المحدثين المتأخرين الحافظ العلم ابن حجر الشافعي حين قال : (ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية , صاحب التصانيف النافعة السائرة , التي انتفع بها الموافق والمخالف ؛ لكان غاية في الدلالة على عظيم منزلته , فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم, والتمييز في المنطوق والمفهوم : أئمة عصره من الشافعية وغيرهم , فضلاً عن الحنابلة , فالذي يطلق عليه مع هذه الأشياء الكفر , أو على من سماه شيخ الإسلام : لا يلتفت إليه , ولا يُعوَّل في هذا المقام عليه , بل يجب ردعه عن ذلك إلى أن يراجع الحق ويذعن للصواب , والله يقول الحق وهو يهدي السبيل, وحسبنا الله ونعم الوكيل) تقريظ لابن حجر على الرد الوافر :ص 15 . فكان هذا الإمام وهؤلاء

الطلبة وهذا الحافظ وأمثاله مما يقيّضه م الله تعالى لحفظ هذا الدين الذي تكفل بحفظه كما قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر:9] .

كان ابن تيمية بحق أحد المجددين العظماء , الذين لا يريدون من الخلق جزاء ولا شكوراً , والذين يُتقرب إلى الله بحبهم , ويتنافس في الذب عن حياضهم , ونسأل الله أن يعلى منزلته , وأن يجمعه مع من يحب من أصفياء الله وأنبيائه وأوليائه , وأن يمن عليه بالنظر إلى وجهه الكريم , وأن يجزيه عن المسلمين وأهل السنة خير الجزاء , وأن ينفعنا والمسلمين بعلمه .

والدفاع عنه بإنصاف مما يظهر به شرفه , وينشر به علمه , ويتبين به جوانب مهمة من دعوته ومنهجه , وصدق حبيب الطائي حين قال :

وإذا أراد الله نشْرَ فضيلةٍ   طُوِيتْ أتاح لها لِسانَ حَسودِ

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ   ما كان يُعرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

لولا التخوف للعواقب لم يزل   للحاسد النعمى على المحسود

ومع الاعتراف بالتقصير والنقص , وما هو إلا جهد المقل , فهذه الجوابات مختصرة لكون بسط الجواب عن كثير من هذه الشبهات يحتاج إلى مصنف مستقل , ولكل مقام مقال , لكن أرجو أنها كافية في بيان المقصود وكشف شبه المعاند والحسود أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً صواباً , وأن يرينا وإخواننا المسلمين الحق حقاً ويرزقنا اتباعه , وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه , وألا يجعل الحق ملتبساً علينا فنضل , وما كان من هذه الجوابات من صواب فمن الله وحده , وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان , والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

د.عبدالقادر بن مُحَمَّد الغامدي

abdulgader_gg@hotmail.com

الشبهة الأولى

ابن تيمية بسبب خوضه في الفلسفة وقع في كفريات فلسفية

الكثيرين يقولون: إن ابن تيمية لا يكرس نفسه كفيلسوف ، ولكنه كناقد للفلسفة أثبت آراء فلسفية من حيث لا يَدْري لا يمكن تجاهلها قد تؤدي إلى تكفيره ؟

جواب الشبهة

أما الشق الأول من السؤال وهو كون شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكرس نفسه كفيلسوف فحقٌّ , كيف وهو يقول عن الفلاسفة : (أنهم من أخسِّ الناس علماً وعملاً , وكفار اليهود والنصارى أشرف منهم علماً وعملاً من وجوه كثيرة) الصفدية (223/1) , وانظر منه (246/1). (244/1, 255) (58/2) , ويقول عنهم : (وكل من فهم حقيقة قولهم وحقيقة ما جاءت به الرسل : علم مناقضتهم لهم ؛ كما قيل لبعض شيوخنا الفضلاء الذين كانوا يعرفون ذلك: ما بين الفلاسفة والأنبياء ؟ فقال : السيف الأحمر . بل حقيقة أمرهم : أنهم لا يؤمنون لا بالله ولا كتبه ولا ملائكته ولا رسله ولا بالبعث بعد الموت , فهم أسوأ حالا من اليهود والنصارى) الصفدية (227/2) .

وأما الشق الثاني من السؤال وهو أنه كناقد للفلسفة أثبت آراء فلسفية من حيث لا يدري لا يمكن تجاهلها قد تؤدي إلى تكفيره , فهذا من البهتان ومن القول بلا عدل و لا علم , ولكن كثيراً ممن قرءوا كلامه لم يفهموا غور كلامه وعمقه ومراده , فمن اشهر ما رمي به في هذا الباب قولهم عنه أنه يقول بقدم العالم , وهذا من أبطل الباطل فهو من أشد الناس تكفيراً لهذه المقالة ولأصحابها , لكن هو يرى قدم نوع الحوادث أما أعيانها فحادثة وهناك فرق كبير بين العين والنوع , فما من حادث إلا له بداية عنده وعند جميع المسلمين , وبهذا يفارق الفلاسفة , ولا يلام على هذا لأنه اجتهاد في مسألة فرعية , وقد سبقه إلى هذا بعض أئمة السنة وذكر أدلته العقلية والنقلية , وإن كنت أرى أنه قول ضعيف وأن الصواب عدم قدم الحوادث المخلوقة لا نوعها ولا وعينها , وهذا هو التحقيق في المسألة , ودليله حيث صحيح صريح إلا أن عذر الشيخ وغيره أنه لم يصح عندهم , ولكن له شاهد , وله دليل من العقل فأما الحديث فهو حديث أبي رزين العقيلي ﷺ قال: قلت : يا رسول الله أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء) ومعنى : في عماء , أي : هواء , كما فسره يزيد بن هارون لا كما فسره الأصمعي وبعض أئمة اللغة أنه السحاب , المقدم هنا قول أئمة الحديث , لأنه لفظ شرعي

وتفسيرهم الموافق لظاهره , فالرسول فسره بقوله : (ما فوقه هواء وما تحته هواء) فـ(ما) هنا بمعنى : الذي , وإلا فسد معنى الحديث , ويدل عليه رواية أخرى (في عماء فوقه هواء وتحته هواء) وهذا الحديث رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجة وصححه ابن حبان وحسن إسناده الذهبي ، وقد ألزم الحافظ ابن القطان الترمذي بتصحيحه فقال في بيان الوهم والإيهام : (وأتبعه – أي الترمذي- أن قال فيه : حسن , ولم يبين لم لا يصح ، وذلك أنه يرويه هكذا : حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع ابن حدس، عن عمه أبي رزين , ووكيع بن حدس هذا لا تعرف له حال ، وهو يروي عن عمه ما يروي ، ولا يعرف عنه راو إلا يعلى بن عطاء . واختلف عليه فيه أصحابه ، فكان شعبة ، وهشيم ، وأبو عوانة يقولون فيه عنه : وكيع بن عدس . وقال حماد بن سلمة عنه : وكيع بن حدس . وكناه من بينهم أبو عوانة فقال فيه : عن أبي مصعب وكيع بن عدس . وقد وقع ذكره بهذا في كتابي البخاري ، وابن أبي حاتم ، ولا بينا من حاله أكثر من ذلك ، وليس في إسناد الحديث المذكور موضع نظر سواه . وإلى ذلك فإنه لم يكن ينبغي له أن يحسنه ، بل كان يلزمه تصحيحه . فإنه قد ساق في كتاب التعبير ، من طريق الترمذي ، عن أبي رزين : لقيط ابن عامر المذكور ، عن النبي قال : (رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ، وهي على رجل طائر ما لم يحدث بها ، فإذا حدث بها وقعت) . وأتبعه قول الترمذي فيه : حسن صحيح . وهذا الحديث يرويه الترمذي هكذا: حدثنا الحسن بن علي الخلال ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن عدس ، عن عمه ، عن أبي رزين ، فذكره . فإذ هذا عنده صحيح ، فينبغي أن يكون الأول صحيحاً ، وإن كان الأول حسنا فينبغي أن يكون هذا حسنا . فإن قيل ، ولعله إنما قال فيه : حسن ، لأنه من رواية حماد بن سلمة ، وهذا الذي قال فيه : صحيح ، من رواية شعبة . وفضل ما بين شعبة وحماد في الحفظ بين . قلنا : قد صحح من حديث حماد بن سلمة ما لا يحصى . وهو موضع لا نظر فيه عنده ، ولا عند أحد من أهل العلم به ، فإنه إمام . وكان عند شعبة من تعظيمه وإجلاله ما هو معلوم في مواضعه ، فاعلم ذلك)
قلت : جهالة وكيع لا تضر الحديث لأن له شاهداً ولأن الترمذي عرفه وكذا ابن حبان هنا , والحديث صحيح عليه نور النبوة , ويشهد له حديث البخاري : (كان الله ولم يكن شيء

غيره – وفي رواية في البخاري : قبله , ورواية فيه [على قول شيخ الإسلام] : معه – وكان عرشه على الماء , ثم خلق السموات والأرض) ففي الصحيح لفظ (غيره) و(معه) وهي معنى (قبله), لكن الشيخ خطأ الراوي , وقال الحديث لم يقع إلا مرة واحدة , لكن هذا لا يعارض رواية (غيره) ولا (معه) فهما بالمعنى , وهما تخالفان رأي الشيخ في المسألة ؛ لأنه إذا لم يكن معه تعالى شيء ولا غيره انتفى وجود نوع الخلق في الأزل , بخلاف المستقبل فمع الله خلقه ومعه غيره دائماً تعالى وهم أهل الجنة , والنار على الصحيح , لذلك الشيخ يرى أنهما منكرتان بهاذين اللفظين , وليس كذلك , بل من رواهما أولى بمعنى الحديث من الشيخ مع إمامته , وقد تكون رواية (غيره) أو (معه) هي لفظ الحديث , وهذا يصحح حديث أبي رزين السابق , وفي المسألة آثار صريحة عن الصحابة .

وأما الدليل العقلي فهو أن هذا يدل على غنى الرب تعالى عن خلقه فكان وحده لا قبله ولا غيره ولا معه شيء مالا نهاية له من الأزمان ثم خلق الخلق ليريهم قدرته وغناه وسائر صفاته , وأما القول بأن هذا ترجيح بلا مرجح فباطل , بل المرجح مشيئة الله وحكمته تعالى , وكان قادراً على الخلق قبل ذلك . ومع هذا فلا يلام الشيخ ويرمى بأنه تأثر بالفلسفة في مسألة له فيها سلف , ولا أعلم – والله على ما أقول شهيد – بعد استقراء كلامه استقراء شبه تام في مسائل العقائد خاصة مسألة خالف فيها السلف الصالح, أو خرج عن مذهبهم , وإن كان قد يختار في مسائل الفروع المختلف فيها رأياً مرجوحاً عند غيره فهذا في مسائل الاجتهاد المجتهد فيها بين الأجر والأجرين , وكذا في المسائل العملية, بل قد ألف العلامة برهان الدين ابن القيم وهو ابن ابن قيم الجوزية رحمهما الله كتاباً بعنوان (المسائل الفقهية من اختيارت شيخ الإسلام ابن تيمية) أجاد فيها , قال في مطلعها: لا نعرف له مسألة خرق فيها الإجماع , ومن ادعى ذلك فهو إمّا جاهل وإما كاذب , ولكن ما نسب إليه الانفراد به ينقسم إلى أربعة أقسام : الأول : ما يستغرب جداً فينسب إليه أنه خالف الإجماع لندور القائل به ولخفائه على كثير من الناس , ولحكاية بعض الناس الإجماع على خلافه ... الثاني : ما هو خارج عن مذاهب الأئمة الأربعة لكن قد قاله بعض الصحابة أو السلف أو التابعين والخلاف فيه محكي ... الثالث : ما اشتهرت نسبته إليه مما هو خارج عن مذهب الإمام أحمد – رضي الله عنه لكن قد قال به غيره من الأئمة وأتباعهم .. . الرابع : ما أفتى به واختاره مما

هو خلاف المشهور في مذهب أحمد وإن كان محكياً عنه وعن بعض أصحابه .ا.هـ . وهذا من توفيق الله له وسببه عدم الخروج عن النصوص وعن إجماع السلف وخلافهم , بل إذا ما رأى رأياً باجتهاده لم يعلم من سبقه إليه من السلف قال : هذا هو الصحيح إن لم يكن في المسألة إجماع , لذلك لم يأت في الدين بجديد , بل يقول : (إن علماء المسلمين إذا تنازعوا في مسألة على قولين لم يكن لمن بعدهم أحداث قول ثالث , بل القول الثالث يكون مخالفاً لإجماعهم) مجموع الفتاوى (308/27) , فهو رحمه الله متبع وليس بمبتدع يعرف ذلك ضرورة من أكثر القراءة له , وحاله كما قيل عن الإمام أحمد بن حنبل : الاعتقاد لمالك والشافعي ونحوهما والظهور لأحمد , وإنما الجديد الذي جاء به الدفاع المفصل بالعقل والنقل عن عقيدة السلف , وشرح كلامهم والرد على الشبهات التي استجدت بعد السلف كشبهات الفلاسفة ونحوهم , وما فتح الله عليه من الفتوح التي امتلأت بها كتبه من وجوه الاستنباطات الدقيقة وأدلة الترجيح بين المذاهب , ثم إن الذي يقع في كفريات الفلاسفة وهو لا يعلم بها قد يكون سبب ذلك عدم فهمه للفلسفة , وهو قد فهمها فهماً صحيحاً باعتراف الفلاسفة أنفسهم يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي في ترجمة (لاؤوست) من موسوعة المستشرقين , ولاؤوست هذا تخصص في شيخ الإسلام وتوفر على دراسته وكان من ذلك رسالتيه للحصول على الدكتوراة كان الرئيسية بعنوان (بحث في آراء ابن تيمية الاجتماعية والسياسية) والرسالة الفرعية (إسهام في دراسة المناهج الشرعية عند ابن تيمية), يقول الأستاذ عبدالرحمن بدوي أثناء بيان مضمون الرسالتين عنه – أي شيخ الإسلام- : (الفقية الحنبلي المذهب , السُّني العقيدة , الواسع الاطلاع على الفلسفة والكلام) , ومع أن عبدالرحمن بدوي متحامل على شيخ الإسلام ابن تيمية , لكن قال هذا الاعتراف , وهو من هو في معرفة الفلسفة , وممن نقد الجويني بسبب عدم فهمه للفلسفة , يبين سعة اطلاع الشيخ رحمه الله بأقوال الفلاسفة وفهمه لها , وهذا واضح وجلي لمن يقرأ في الفلسفة ويقرأ كتبه , حتى أن من يقرأ كتبه في الرد على الفلسفة يجد أنه فهم الفلسفة ولو لم يرجع إلى كتب الفلسفة الأصلية , مع اختلاف في طريقة عرضه لها عن طرق الفلاسفة.

الشبهة الثانية

ابن تيمية يعتذر لشطحات المتصوفة الكفرية

المتصوفة يتناقلون أقوال لشيخ الإسلام يعتذرون بها لمشايخهم الذين نطقوا بكلمات الكفر مثل : (أنا الله – سبحاني – ما في الجبة إلا الله – أنا الحق) وغيرها من العبارات الكفرية, ويوهمون أن الشيخ يؤيد تلك الأقوال , وأدلتهم هذه الأقوال :

قال في مجموع فتاوي ابن تيمية – فصل "الفناء" (ج 10 ص339-401) : (وفي هذا الفناء قد يقول: أنا الحق ، أو سبحاني ، أو ما في الجبة إلا الله ، إذا فني بمشهوده عن شهوده ، وبموجوده عن وجوده ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن عرفانه . كما يحكون أن رجلاً كان مستغرقاً في محبة آخر ، فوقع المحبوب في اليم فألقى الآخر نفسه خلفه ، فقال ما الذي أوقعك خلفي ؟ فقال: غبت بك عني فظننت إنك أني . وفي مثل هذا المقام يقع السكر الذي يسقط التمييز مع وجود حلاوة الإيمان ، كما يحصل بسكر الخمر ، وسكر عشيق الصور . وكذلك قد يحصل الفناء بحال خوف أو رجاء ، كما يحصل بحاله حب فيغيب القلب عن شهود بعض الحقائق ويصدر منه قول أو عمل من جنس أمور السكارى وهي شطحات بعض المشائخ : كقول بعضهم : انصب خيمتي على جهنم ، ونحو ذلك من الأقوال والأعمال المخالفة للشرع ؛ وقد يكون صاحبها غير مأثوم ، وإن لم يكن فيشبه هذا الباب أمر خفراء العدو من يعين كافراً أو ظالماً بحاله ويعلم أنه مغلوب عليه . ويحكم [على] هؤلاء أن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم فلا جناح عليهم فيما يصدر عنهم من الأقوال والأفعال المحرمة بخلاف ما إذا كان سبب زوال العقل والغلبة أمراً محرما) اهـ.

ومن كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (396/2) قال : (قد يقع بعض من غلب عليه الحال في نوع من الحلول والاتحاد.. لما ورد عليه ما غيب عقله أو أفناه عما سوى محبوبه , ولم يكن ذلك بذنب منه كان معذورًا غير معاقب عليه مادام غير عاقل ... وهذا كما يحكى : أن رجلين كان أحدهما يحب الآخر فوقع المحبوب في اليم , فألقى الآخر نفسه خلفه فقال : أنا وقعت, فما الذي أوقعك ؟ فقال: غبت بك عني , فظننت أنك أني . فهذه الحال تعتري كثيرًا من أهل المحبة والإرادة في جانب الحق , وفي غير جانبه ... فإنه يغيب بمحبوبه عن حبه وعن نفسه , وبمذكوره عن ذكره... فلا يشعر حينئذ بالتميز ولا بوجوده , فقد يقول في هذه الحال : أنا الحق أو سبحاني أو مافي الجبة إلا الله ونحو ذلك ...) اهـ.

وقال ابن تيمية في كتابه الفتاوى (339/10) : (وفي هذا الفناء قد يقول : أنا الحق ، أو سبحاني ، أو ما في الجنة إلا الله ، إذا فني بمشهوده عن شهوده ، وبموجوده عن وجوده ، وفي مثل هذا المقام يقع السكر الذي يسقط التمييز مع وجود حلاوة الإيمان , كما يحصل بسكر الخمر وسكر عشق الصور . ويحكم على هؤلاء أن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم فلا

جناح عليه فيما يصدر عنه من الأقوال والأفعال المحرمة ، بخلاف ما إذا كان سبب زوال العقل أمراً محرماً , وكما أنه لا جناح عليهم فلا يجوز الاقتداء بهم ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة ، بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكاليف الظاهرة) اهـ.

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد فالجواب عن هذا الشبهة موجود في الكلام المنقول آنفاً عنه رحمه الله , وهو أنه يرى أن بعض هؤلاء كالبسطامي قال هذا الكلام – الذي لا شك في كفر من قاله بلا عذر – في وقت سكره واصطلامه وغياب عقله , لذلك نقل في موطن آخر عن البسطامي أنه كان إذا أفاق أنكر أنه قال ذلك , وهو لا يقر على هذا الكفر بلا شك كما كلامه فإنه قال : (وكما أنه لا جناح عليهم , فلا يجوز الاقتداء بهم ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة ، بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكاليف الظاهرة) لكن يرى أن التكليف رفع عنهم بسب زوال عقولهم بسبب غير محرم , فهم كالمجانين في هذه الحالة , وهذا لا غبار عليه , لكن هل قالوا ذلك في وقت زوال عقولهم , فهذا مما حصل فيه الخلاف , وقد سبق الشيخ إلى هذا علماء , وقال هذا غيره بعده كثيرون أيضاً , فلا يوجه عليه لوم , بل عنده أدلته على هذا , وهذا من إنصافه رحمه الله وورعه , لذلك هو يشنع ويكفِّر من يقول هذه الكلمات وهو في الصحو فيفرق بين كون البسطامي ونحوه قالوا ذلك وقت الاصطلام , وقبول هذا العذر , وبين الحلاج , فيقول عن الحلاج: (وأما كونه إنما كان يتكلم بهذا عند الاصطلام : فليس كذلك , بل كان يصنف الكتب ويقوله وهو حاضر ويقظان ..) مجموع الفتاوى (2/486- 487). ومما يبين سبب الخلاف حول هؤلاء كالبسطامي وغيره أنهم في حال صحوهم يقولون كلاماً لا يخرج إلا ممن له حال سنية صحيحة وكلام البسطامي في هذا مشهور معروف , لذلك يقول المناوي : (وهذا وأشباهه إذا وقع من أولئك الأجلة الأكابر — وذكر منهم الشبلي – إنما يصدر عنهم في حال السكر ؛ فلا يؤاخذون به , كما نقل عن أبي يزيد البسطامي من نحو: سبحاني , وما في الجبة إلا الله , ما النار لأستعدن لها غداً , وأقول : اجعلني لأهلها الفدا . أما الجنة لعبة صبيان . وقوله: هب لي هؤلاء اليهود ما هؤلاء حتى تعذبهم , إلى غير ذلك من شطحاتهم المعروفة, فنسلم لهم حالهم معتقدين لهم, ونبرأ إلى الله من كل من تعمد مخالفة الكتاب والسنة) فيض

القدير (456/1) . وإن كان شيخ الإسلام ير ى أن الاصطلام وغياب العقل حال ناقصة وأنها خلاف طريقة الصحابة وأئمة الدين لكن هم معذورون , آخر والله أعلم

****

الشبهة الثالثة

شيخ الإسلام يمدح الصوفيّة

الكثير من الصوفيّة يحتج على أن شيخ الإسلام مدح الصوفيّة والتصوّف بل ذكروا أنه أثنى على العديد من علمائهم , ثم يقولون : إن الوهابية ينكرون عليهم أشياء هم يتأسون فيها بالذين مدحهم شيخ الإسلام , وتحجج الصوفية بشيخ الإسلام من أهم ما لبسوا به الباطل وزينوه للذين ليس لهم علم بمعتقداتهم فكيف يمدح ابن تيمية رحمه الله الصوفيّة ؟

الجواب

بعض هؤلاء الصوفية يحتج بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يعاديه لكن يظن أنه يقيم بذلك الحجة على من يعظِّم شيخ الإسلام ابن تيمية , وليس له في ذلك حجة , وسبب

اللبس في هذا والتلبيس هو الاشتراك والإجمال في لفظ (الصوفية) وشيخ الإسلام قد نبه على هذا فقال : (أكثر اختلاف الناس بسبب الاشتراك في الأسماء) فشيخ الإسلام يرى أن لفظ الصوفية لفظ مشترك يطلق على صوفية هم من أهل السنة سُموا صوفية بسبب لبسهم الصوف زهداً لكنهم على عقيدة أهل السنة والجماعة , ومنهم من ذكرهم أبو عبدالرحمن السلمي في طبقات الصوفية , ومنهم صوفية متكلمة كالمحاسبي , ومنهم ملاحدة الصوفية كفلاسفتهم كابن عربي والتلمساني وابن الفارض ونحوهم , فهو يمدح ويثني على صوفية أهل الحديث كالفضيل وإبراهيم بن أدهم والجنيد ورابعة والتستري وبشر الحافي وأمثال هؤلاء الأجلة الذين أثنى عليهم العلماء في عصورهم وبعدها , وهو عدو لدود للحلاج وابن عربي وأمثالهم , فهو لم يمدح الصوفية الملاحدة وإنما مدح أهل السنة منهم , وهذا إنصاف وعدل وغاية في التحقيق , وأعداؤه يلبسون على من لم يفهم مراده بأنه يمدح ويثني على ملاحدة الصوفية وجهالهم , وليس كذلك لكن كل هؤلاء عنده وفي التاريخ اسمهم صوفية – ولا مشاحة في اصطلاح جديد لا يدل على معنى مشكل أو باطل–, فمن قرأ كتب التاريخ وجد أنهم يُلقَّبون بذلك كما لقبهم أبو نعيم والسلمي وغيرهم , يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– : " المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث , وهم خيارهم وأعلامهم , وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام , فهؤلاء دونهم , وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة كهؤلاء الملاحدة) الصفدية (267/1). وهذا تفصيل جيد فلا يُمدحون بإطلاق ولا يذمون بإطلاق , بل يفصل ويبين , وإن كنا نود لو لم يسموا إلا بالألفاظ الشرعية كالزهاد والعباد ونحو ذلك , لكن هذا ما قد حصل , وبأسلوب الشيخ يزول الخلاف وكذا ينبغي أن يفعل في الألفاظ المجملة المشتركة والله أعلم.

****

الشبهة الرابعة

ابن تيمية ينافق ويخادع

كثيرٌ من الأشاعرة قالوا بأن ابن تيمية كان قد رجع عن كل أقواله عندما استدعي ومثُل أمام الخليفة , وأنه مثل الجنون وعدم الوعي , وأنه أقر بمنهج مخالفيه , ولكن عندما أفلته الحاكم رجع لما كان عليه ؟

جواب الشبهة

هذا واضح الكذب والبهتان , ومن أدلة كذبه أنه صادر من خصومه , وكيف يقبل كلام الخصم في خصمه بل حتى غير الخصم لا يقبل قوله إلا ببينة جلية وإسناد صحيح فكيف بالخصم , وهو جلي البطلان عند من عرف سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية وعرف منهجه , وهو من أعظم الناس شجاعة , لا يهاب الموت فضلاً عن غيره , وقصصه في هذا

أكثر وأظهر من أن تذكر , بل شجاعته في مواقف وأمام أشخاص أشد بأساً وفتكاً وظلماً من هؤلاء كغازان , وفي موقعة شقحب تبين سذاجة هذه المقالة ؛ لأن هذا الرجوع بهذه الطريقة لا يصدر من علام فضلا عن شي الإسلام , ولا يصدر إلا ممن ليس بشجاع فضلاً عمن هو فريد عصره في الشجاعة , يقول الذهبي عنه : (هو في زمانه فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة ..) . ومما يبين بطلان هذه الدعوى أنك لا تجد كلمة واحدة في كتبه تشير إلى ذلك لا من قريب ولا من بعيد , وما وجد في كلام ابن حجر والشوكاني رحمهما الله وغيرهما فينقلون ذلك بلا إسناد ثابت حتى عندهم , وليس كل ما ذُكر في كتبهم من قصص تاريخيه صحيح بل فيها الصحيح والباطل , ثم إن التاريخ الذي ذكروا أن الشيخ قال فيه ذلك الكلام وهو (707هـ) قد كتب بعده كثير من الكتب التي ترد على الأشعريه في تلك المسائل وغيرها , ثم إن طلابه ساروا بعده على نصر مذهبه الذي يدعو إليه وهو نصر السنة ومذهب السلف , مما يبين أن كل هذا ونحوه كذب بغير شك, عند كل من يدرسه بمنهج البحث الصحيح شرقاً وغرباً .

الشبهة الخامسة

ابن تيمية يظن أن النبوة تكون بالكسب وليست هبةً من عند الله

ذكر الصوفي الأشعري المسمى د .محمود السيد صبيح في كتابه : (أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله وأهل بيته) شبهات كثيرة منها شبهة : أن ابن تيمية يظن أن النبوة تكون بالكسب وليست هبةً من عند الله يقول محمود صبيح في صفحة 422 من الكتاب المذكور : (ابن تيمية يظن أن النبوة تكون بالكسب وليست وهبا من عند الله : وفي مقام النبوة يخطئ أيضاً ابن تيمية حيث قال في مجموع فتاويه (310/10) : (والتائب من الكفر والذنوب قد يكون أفضل ممن لم يقع في الكفر والذنوب ، وإذا كان قد يكون أفضل فالأفضل أحق بالنبوة ممن ليس مثله في الفضيلة ، وقد أخبر الله عن إخوة يوسف بما أخبر من ذنوبهم وهم الأسباط الذين نبأهم الله تعالى وقد قال تعالى : (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي

مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي) فآمن لوط لإبراهيم عليه السلام). اهـ قلت: (أي محمود صبيح): وهذا مذهب خطير فإن النبوة وهب ومحض فضل ليست بالأفضلية ولا بالأحقية كما يقول : فإن الأمة اتفقت على أن النبوة لا تكتسب , ولم يخالف في ذلك إلا بعض الفئات الضالة. وكل حال النبيين وهب كمثل قوله :(وَهَبْنَا لَهُ) والآيات في الوهب للأنبياء كثيرة فراجعه ا) انتهى كلام الشيخ الصوفي محمود صبيح .

جواب الشبهة

هذا من الكذب على شيخ الإسلام ابن تيمية , ويظهر أن سببه سوء الفهم وضعفه المشوب بالهوى , فليس في هذا النقل الذي احتج به ما يدل على ذلك , و شيخ الإسلام لا يرى أن النبوة تكون بالكسب , بل يرى أن ذلك من قول أهل الإلحاد لا يقول به مسلم , يقول رحمه الله : (فإن النبوة لا تنال بالاجتهاد كما هو مذهب أهل الملل , وعلى قول من يجعلها مكتسبة من أهل الإلحاد من المتفلسفة وغيرهم ..) درء التعارض (140/1) وكلام الشيخ في هذه المسألة أظهر من أن يذكر , بل قد أطال في الرد على أهل هذه المقالة بما لم يرد به أحد قبله ولا بعده وصنف حول بعض ما يتعلق بهذه المسألة مصنف مستقل وهو (الصفدية) , وأما هذا النقل الذي نقله هذه الرجل فليس فيه ما يدل على ذلك , والشيخ يتكلم عن مسألة أخرى وهي كون النبي غير معصوم عن الشرك قبل النبوة , وهي مسألة خلاف , والشيخ يقصد أن الرجل بعد الذنب قد يكون أفضل منه قبله , والتائب من الكفر قد يكون أفضل ممن ولد في الإسلام وهو حق , لذلك فهو يرى أن كون النبي قد يقع في الكفر قبل النبوة ليس بمانع أن ينبأ ولا ينفي أفضليته , ولا أنه لا يكون نبياً رداً على من يخالفه في المسألة لا أنه يرى أن النبوة مكتسبة , وهو يستدل على ذلك بقول شعيب عليه السلام كما حكى الله عنه : (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا) [الأعراف:89] وليس في كلامه ما يدل على أنه يرى أن النبوة مكتسبة لا من قريب ولا من بعيد , وإن كان قد يقال الآية لا دلالة فيها من حيث اللغة على كون شعيب وقع هو نفسه قبل النبوة في الشرك , كما ذكرته في تعليقي على مهذب تفسير الزمخشري , والذي لا زلت أعمل فيه وأسأل الله التمام , لكن المسألة من مسائل الاجتهاد , والله الموفق .

****

الشبهة السادسة

ابن تيمية مجسم يقول بـ"جلوس" الله سبحانه وتعالى لتفسير الاستواء

طرح بعض أهل البدع شبهة تجسيم ابن تيمية لله ﷻ بقولهم : أنه قال بأن الله جالس على العرش كتفسير لاستواء الله سبحانه وتعالى على عرشه . فقالوا أن هذا اللفظ لا يجوز لأنه يصف الجسم وغيره.

جواب الشبهة

الحمد لله , وصف الله تعالى بالجلوس والقعود كثير من السلف والخلف , واستندوا فيه على أحاديث مرفوعة وآثار عن الصحابة والتابعين صححوها وقبلها كثير من أهل العلم , وسبيل ذلك إذا ثبت سبيل غيره من الصفات , يثبت لله تعالى الجلوس من غير تمثيل ولا تعطيل , ومن جعل ذلك تجسيم فهو على طريقة الجهمية ؛ لأن الذين أثبتوا هذه الصفة لم يقولوا : يجلس كجلوسنا , كما لم يقولوا يضحك كضحكنا , والممثل هو الذي يقول : يضحك

كضحكنا ونحو ذلك , بل يقولون في الجلوس كما قالوا في النزول والضحك ولا يلزم من ذلك التمثيل بل كل ذلك يليق به تعالى , فالعبرة هنا بصحة الحديث فقط , فإن صح وجب قبوله , ولم أقف على كون الشيخ أثبت الجلوس لكن قال : أن من أثبته إنما أثبته كما يليق بالله تعالى كغيره من الصفات , لكن الشيخ ذكر أن الحديث الذي فيه صفة الجلوس أكثر أهل السنة قبلوه , وتكلم عليه في مجموع الفتاوى (16/435-439) , وذكر طرقه الذهبي في العرش وأنكر على من أنكره بعد تلقي كثير من الأئمة له بالقبول أنظر : كتاب العرش (121/2) , ولكن إذا ثبت أن الشيخ صحح الحديث فهو يثبت الصفة ؛ لأنه على منهج السلف لا يمكن أن يصحح حديثاً ولا يقول به , بل هذا عنده شنيع كما كرر الكلام حوله مرات كثيرة في أكثر كتبه , كما قال الحميدي : ذكرَ الشافعي حديثا فقال له رجل : تأخذ به يا أبا عبد الله ؟ فقال : أفي الكنيسة أنا أو ترى على وسطي زنارا ! نعم أقول به وكل ما بلغني عن النبي قلت به .

****

الشبهة السابعة

يقول الصوفية : قام ابن تيمية بتحريف اثر (5) مرات في كتبه المختلفة

بل وزاد في هذا الأثر

يقول صوفي : قام ابن تيمية بتحريف اثر (5) مرات في كتبه المختلفة بل وزاد في هذا الأثر , وأخفى قول مهم ليدل على شيء مخالف فهل هذا ليس من الكذب على الله ورسوله ؟ قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (4\373) : (وعمر ابن الخطاب لما فتح البلد قال لكعب الأحبار : أين ترى أن ابني مصلى المسلمين ؟ قال: ابنه خلف الصخرة , قال : خالطتك يهودية يا ابن اليهودية. بل أبنيه أمامها فإن لنا صدور المساجد , فبني هذا المصلى الذي تسميه العامة الأقصى) . وفي مجموع الفتاوى (15\153) , مجموع الفتاوى (27\1 2) , مجموع الفتاوى (27/136) , اقتضاء الصراط المستقيم (27\136) . ففي أي كتب الحديث نقل ابن تيمية هذه الحادثة بهذا السياق الذي نقله خمس مرات , وهو في الأصل لا

يوجد بهذا السياق في أي من كتب الحديث ؟
أين تجدون لنا لفظة أمير المؤمنين لكعب الاحبار : (يا ابن اليهودية) في كتب الحديث التي روت الأثر ؟ وكذلك هذه اللفظة : بل ابنيه أمامها فان لنا صدور المساجد ؟؟
ولماذا أخفى خمسة مرات لفظة : (لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه) ؟

جواب الشبهة

الحمد لله , لم يخفِ شيخ الإسلام ابن تيمية لفظةُ : (لا ولكن اصلي حيث صلى رسول الله ﷺ) بل ذكر هذا اللفظ بإسناده ففي (اقتضاء الصراط المستقيم) ص: 126-127 قال : (وروى الإمام أحمد في المسند حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب أن عمر كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس قال حماد بن سلمة فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول لكعب : أين ترى أن أصلي ؟ فقال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك , فقال عمر : ضاهيت اليهودية لا ولكن أصلي حيث رسول الله ﷺ , فتقدم إلى القبلة فصلى ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس) . ثم ذكر في نفس الكتاب الرواية الثانية فقال ص 434 : (قال لكعب الأحبار: أين ترى أن أبني مصلى المسلمين ؟ فقال : ابنه خلف الصخرة , فقال : يا ابن اليهودية خالطتك يهودية أو كما قال , فقال عمر: ابنيه في صدر المسجد , فإن لنا صدور المساجد فبناه في قبلي المسجد) . ثم ذكر الأثر بهذه الرواية الثانية أربع مرات في كتبه الأخرى , وذكره بها ابن القيم في المنار المنيف وغيره , مما يدل أنها رواية أخرى للحديث , وخاصة أنه ذكر الروايتين في موطن واحد , وهو واسع الحفظ لا يستغرب عليه أن ينفرد عن ا بزيادة في رواية موقوفة أو في روايات , ويكفيك قول الذهبي فيه : (وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم, ومعرفة بفنون الحديث وبالعالي والنازل وبالصحيح والسقيم مع حفظه لمتونه الذي انفرد به , فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ولا يقاربه , وهو عجب في استحضاره واستخراج الحجج منه , وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه أن يقال : كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث , ولكن الإحاطة لله غير أنه يغترف من بحر وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي) , وقصة كعب هذه موقوفة ليست مرفوعة قد يخفى بعض طرقها , فالظاهر

أنها رواية حفظها الشيخ . وأما كون الشيخ يرويها مرة بلفظ (يابن اليهودية خالطتك يهودية) ومرة يقول : (خالطتك يهودية يابن اليهودية) فهو بين أنه ذكرها بالمعنى لذلك يقول أحيانا كما في الاقتضاء في الرواية التي نقلتها (أو كما قال) والرواية بالمعنى جائزة للفقيه الذي يعرف ما يحيل المعنى . وقوله فيها : (خالطتك يهودية) فقريب من (ضاهيت اليهودية) , وأما قوله : (يابن اليهودية) فهو تغليظ بكلام حق فأم كعب رحمه الله يهودية , ومثل هذا الأسلوب يستعمله عمر للمنع من التشبه بأهل الكتاب بل هو غير مستغرب منه مع شدته في الحق المعروفة عنه , بل قد استعمله مع كعب من هو أقل من عمر قوة في الحق مع فضله وعلمه وزهده وهو الصحابي الجليل أبو ذر ﷺ , ففي شعب الإيمان للبيهقي (3309) روى بإسناده عن غزوان أبو حاتم قال : بينا أبو ذر عند باب عثمان لم يؤذن له إذ مر به رجل من قريش قال : يا أبا ذر ما يجلسك هاهنا , قال : يأبى هؤلاء أن يأذنوا لي , فدخل الرجل فقال : يا أمير المؤمنين ما بال أبي ذر على الباب لا يؤذن له , فأمر فأذن له , فجاء حتى جلس ناحية القوم قال : وميراث عبد الرحمن بن عوف يقسم , فقال عثمان لكعب : يا أبا إسحاق أرأيت المال إذا أدي زكاته هل يخشى على صاحبه فيه تبعه , فقال : لا , فقام أبو ذر ومعه عصا فضرب بها بين أذني كعب ثم قال : يا بن اليهودية أنت تزعم أنه ليس عليه حق في ماله إذا أدى الزكاة والله يقول ..) الأثر . فكيف يستغرب هذا من عمر , بل هو أسلوبه المعروف عنه ﷺ , لا ينكر هذا بهذه الطريقة إلا من في قلبه على شيخ الإسلام دغل , لا يضر به إلا نفسه فهو :

كناطح صخرة يوما ليفلقها   فلم يضرها ولكن أوهى قرنه الوعل

والله أعلم .

****

الشبهة الثامنة

ابن تيمية أول من أبتدع تقسيم التوحيد

كثيراً ما يردد المتصوفة والأشاعرة أن ابن تيمية أول من أبتدع تقسيم التوحيد ؟

جواب الشبهة

الحمد لله , فهذا الكلام يدل على جهل قائله بالعلم وبالتوحيد , وقد يكون ممن ينكر توحيد الألوهية الذي هو المقصود الأعظم من الرسالة كلها , فكون التوحيد ثلاثة أقسام هو بالاستقراء التام للقرآن والسنة , فإذا قرأت القرآن والسنة وجدت هذه الأنواع الثلاثة كلها , ولا تجد غيرها البتة , فالقرآن والسنة فيهما الكلام عن إفراد الله بالعبادة وذلك لا يحصى فهو توحيد الألوهية أو توحيد العبادة أو سمه ما شئت من التسميات الصحيحة , وفيهما ذكر تفرد الرب تعالى بالخلق والرزق والتدبير , وفيه ذكر الأسماء والصفات مع قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) , وهذا توحيد الأسماء والصفات , وهذه الأنواع في أول سورة من القرآن وهي الفاتحة إلى آخر سورة في القرآن وهي سورة الناس , ففي سورة الفاتحة قوله تعالى : (رب العالمين) فهذا الربوبية , وقوله : (الرحمن الرحيم) وهذا في الأسماء والصفات

, وقوله : (إياك نعبد) وهذا الألوهية , وفي سورة الناس (رب الناس) فهذا الربوبية و(ملك الناس) وهذا من الأسماء والصفات , و(إله الناس) وهذا الألوهية , وكذا فيما بينهما من سور القرآن , بل التوحيد هو المقصد الأعظم من الرسالة كما سبق , فما من آية إلا هي في ذكر التوحيد أو جزائه وعاقبة أهله في الدارين أو حقوقه من الأوامر والنواهي , وأما التسمية والمصطلح الجديد فلا مشاحة فيه إذا كان معناه صحيح عند أهل العلم , وهذا كتقسيم الكلام إلى (اسم وفعل وحرف) فهو بالاستقراء التام وهو دليل قطعي . فالمقصود أن الواجب هو إفراد الله بالعبادة وبالربوبية وإثبات أسمائه وصفاته من غير تمثيل ولا تعطيل , ثم يبقى الخلاف في المصطلحات خلاف لفظي فقط , ومع هذا فهي اصطلاحات شرعية صحيحة فقد سبق الشيخ إلى هذا التقسيم غيره من أهل العلم كابن منده والطبري وغيرهما , أما المعاني فمجمع عليها , وما أكثر ما يصطلح الأشعرية والصوفية في مذاهبهم مصطلحات على معاني باطلة فكيف ينكرون مصطلحات على معان صحيحة بل ينكرون المصطلحات السلفية الشرعية . وقد ذكر الطبري لفظ الألوهية في تفسيره أكثر من خمسة عشر مرة , ومنها آثار عن ابن عباس وغيره , وذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز أكثر من عشرين مرة وهكذا العلماء طوال القرون قبل شيخ الإسلام , لا يمكن إحصاؤهم , وكذا لفظ الربوبية ذُكر في تفسير الطبري أكثر من خمسة عشر مرة , بل ذكر نوعي التوحيد فقال في تفسير آية (21) من سورة البقرة : (فأمر جل ثناؤه الفريقين .. بالاستكانة والخضوع له بالطاعة , وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة ؛ لأنه جل ذكره هو خالقهم وخالق من قبلهم من آبائهم وأجدادهم وخالق أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم , فقال لهم جل ذكره : فالذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائر الخلق غيركم وهو يقدر على ضركم ونفعكم أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نفع ولا ضر) , وكذا ذكر نحو هذا الطحاوي في عقيدته , ذكر الأنواع الثلاثة , وقال ابن منده في (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة) (17/2) : (وكذلك خلق فرعون وهو يعلم أنه يدعي الربوبية ويفسد البلاد ويهلك العباد وأرسل إليه موسى يأمره بالتوحيد لله والإقرار له بالعبودية) , فالمقصود أن من يقول هذا الكلام كان الواجب عليه أن يشكر شيخ الإسلام ابن تيمية على مزيد التوضيح والتقسيم والبيان , لا يتهمه بالابتداع والله الموعد .

****

الشبهة التاسعة

ابن تيمية يطعن في دين الإمام علي

يقول الصوفي الأشعري المسمى د .محمود السيد صبيح في كتابه : (أخطاء أبن تيمية في حق رسول الله وأهل بيته) في صفحة:90-91, ما نصة: (ابن تيمية يطعن في دين الإمام علي ويتهمه بأنه لم يهاجر لله ولرسوله وإنما كانت هجرته لامرأة يتزوجها ؛ في سياق الكلام على إرادة الإمام على ﵁ الزواج على السيدة فاطمة ﵂ قال ابن تيمية في منهاجه (4/ 255) :

(لكن المقصود أنه لو قُدِّر أن أبا بكر آذاها ، فلم يؤذها لغرض نفسه بل ليطع الله ورسوله ويوصل الحق إلى مستحقه ، وعلي - ﵁- كان قصده أن يتزوج عليها فله في أذاها غرض بخلاف أبي بكر ، فعلم أن أبا بكر كان أبعد أن يُذم بأذاها من على ، وأنه قصد طاعة الله ورسوله بما لاحظ له فيه ، بخلاف علي فإنه كان له حظ فيما رابها به ، وأبو بكر كان من جنس من هاجر إلى الله ورسوله ، وهذا لا يشبه من كان مقصوده امرأة يتزوجها) انتهى بحروفه. قلت: حسبنا الله ونعم الوكيل ، أخرج البخارى (1/ 3) ومسلم (1515/3) عن عمر بن الخطاب ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات , وإنما لكل امرئ

ما نوى , فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) . عند ابن تيمية الإمام علي ﵁ فاقد أهم أصل من أصول الإسلام ، وهو أصل النية الذي لا يصح شيء بدونه.

قال الإمام الشافعي : هذا الحديث ثلث العلم ويدخل في سبعين بابا من الفقه. اهـ ، وعن الإمام أحمد قال : أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث : حديث عمر إنما الأعمال بالنيات , وحديث عائشة : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ود , وحديث النعمان بن بشير : الحلال بين والحرام بين . اهـ.

قلت : بجرَّة قلم أصبح رابع الخلفاء الراشدين المهديين كمهاجر أم قيس قال الحافظ في فتح البارى (10/1) : (وقصة مهاجر أم قيس رواها سعيد بن منصور قال أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن عبدالله هو ابن مسعود قال : (من هاجر يبتغى شيئاً فإنما له ذلك ، هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس ، فكان يقال له مهاجر أم قيس).اهـ , ورواه الطبرانى من طريق أخرى عن الأعمش بلفظ: (كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس ، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر ، فهاجر فتزوجها ، فكنا نسميه مهاجر أم قيس . وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين) اهـ على كل حال ، فلا نقول في هذه المسألة إلا كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من آذى علياً فقل آذاني) وقول النبي ﷺ : (ما تريدون من علي ، إن علياً مني وأنا من علي ، وهو ولي كل مؤمن بعدي) عموماً أعتقد أن قول ابن تيمية هذا هو أحد أسباب حكم علماء زمانه عليه بالنفاق كما قال الحافظ ابن حجر في الد رر الكامنة ، لقول النبي صلى الله عليه: (لا يبغضك إلا منافق) انتهى كلام محمود صبيح .

جواب الشبهة

الحمد لله , فهذا الرجل لا يفهم طريقة العلماء المحققين , ولم يفهم مراد الشيخ , ولعل سبب ذلك مع جهله سوء قصده , وليس في كلام شيخ الإسلام هذا فرية على أمير المؤمنين علي ﵁ , فهو لم يقل أن علي هاجر من أجل أن يتزوج امرأة , وإنما قال : (وهذا لا يشبه من كان مقصوده امرأة يتزوجها) ولم يذكر الهجرة , وإنما ذكر وجه شبه لا يلزم منه التماثل من أكثر الوجوه فضلاً عن كلها , وحاشاه أن يرمي أمير المؤمنين بذلك بل هو يثني عليه كثيراً كما سيأتي ذكر بعض كلامه فيه إن شاء الله , لذلك لم ينكر الذهبي وهو الناقد البارع

هذه على شيخ الإسلام بل نقل العبارة بكمالها في تهذيبه لمنهاج السنة (المنتقى من منهاج الاعتدال) ص:209 , وهو يدل أنه ارتضاها وإلا لحذفها , والشيخ يبين الفرق بين تأذي سيدة من سيدات نساء أهل الجنة فاطمة رضي الله عنها من أبي بكر , وأن أبا بكر قصده طاعة رسول الله , فلا يمكن أن يُرضيها بما هو معصية لرسول الله وإن كانت هي لم تقصد ذلك أيضاً , وأما علي رضي الله عنه فأذيته لها كان بسبب امرأة يتزوجها عليها , فهو بسبب دنيوي , يعتبر مما يبين نقصان رتبة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن رتبة الصديق , وعلي رضي الله عنه ليس معصوماً بل هذا كان منه خطأ رضي الله عنه , غضب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم , وإن كان علي من أهل الفردوس الأعلى , والرافضة يدعون إما مقالاً أو حالاً لعلي العصمة فينكرون أن يكون أخطأ , أو على من قال أخطأ , ولو كان هذا فعله أبو بكر أو عمر مع رسول الله لرأيت من الرافضة قبحهم الله العجائب , ولكنهم أصحاب أهواء وقِحين , فكلام شيخ الإسلام حق وعدل لا إشكال فيه , بل هو لإبعاد الغلو عن شخص علي الذي لا يرضاه علي نفسه , ومن العدل بينه وبين الصديق , ولكل مقام مقال , فمقام المقارنة بينه وبين الصديق غير مقام ذكر مناقب علي أو ذكر المقارنة بينه وبين معاوية رضي الله عنه مثلاً , وهو من طريقة الأئمة الكبار كابن تيمية وابن حزم وغيرهما , فهو لم ينقص من قدر علي ولكنه لم يرفعه فوق الصديق , بل مثل هذه المقارنات المراد بها بيان الحق وقد فعل نحوا منها ابن حزم في الفصل (المجلد الخامس) بكلام لا مزيد عليه , فرحمهم الله ورضي الله عن أصحاب مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم أجمعين . وأما قول هذا الرجل : (هذا هو أحد أسباب حكم علماء زمانه عليه بالنفاق كما قال الحافظ ابن حجر في الد رر الكامنة) فالحافظ ابن حجر رد عليهم , ولم يرتض هذا منهم , كما سبق ذكر شيء من كلامه في المقدمة , ومن ذلك قوله في الدرر الكامنة بعد ذكر من اتهمه بالنفاق بعد أن ذكر عداوة بعض خصوم الشيخ : (وقد دبَّت إليه عقارب مكره فرد الله كيد كلٍّ في نحره , ونجَّاه على يد من اصطفاه والله غالب على أمره) , وقال : (حتى قام عليه خلق من العلماء بالمصرين فبدَّعوه , وناظروه وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي , بل يقول الحق إذا أداه إليه اجتهاده وحدَّة ذهنه وسعة دائرته) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (185/1). وله كلام كثير في الثناء عليه مع أنه يخالفه في بعض الأصول , لكن هذا شأن العلماء , وبه تعرف أن كبار أهل

العلم المنصفين كابن حجر ما منهم أحد يتهمه بذلك , لكن أنصاف المتفقهه المقلدة المتعصبة , وهؤلاء من أعظم أسباب الفتن نسأل الله العافية.

****

الشبهة العاشرة

رد الذهبي على ابن تيمية في مسألة العلو

وناصحه في رسالته (النصيحة الذهبية)

قال خصوم الشيخ : رد الإمام الذهبي على شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة العلو وناصحه في رسالته النصيحة الذهبية ؟

جواب الشبهة

الحمد لله ؛ أما مسألة العلو فقد صنف فيها الذهبي كتابه الكبير (العلو للعلي الغفار) فكيف ينكرها على شيخ الإسلام , هذا بهتان بُهت به الذهبي , وحاشاه من ذلك , وأما الرسالة الذهبية فمكذوبة ووُجدت بخط أحد خصومه فحالها كحال من نسب إليه أنه نصر الأشعرية , حاشاه من ذلك , وفيها ألفاظ غير لائقة بالذهبي ولا تشبه أسلوبه , وأما كون الذهبي نقد شيخ الإسلام ببعض الأمور كما في (زغل العلم) فممكن والذهبي ليس بمتعصب بل هذا من جلالته وهو أنه لم يحاب من يعظِّمه , وشيخ الإسلام ليس بمعصوم , فكونه فيه حدة أو عنده أخطاء ليس بممتنع , وما من عالم إلا وعنده أخطاء , ولا معصوم غير الأنبياء فيما يبلغون عن الله , لكن لم يكن الذهبي من خصومه كما يظنه بعض الناس , بل كان من أنصاره , وقال هذه الكلمة دفاع ومحبة شديدة له , وأنه لولا حدة فيه لاجتمعت الكلمة عيه لفرط علمه ودينه وزهده , وقد كتب إلى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق شيخ

الإسلام كما في (الدرر الكامنة) لابن حجر (186/1) , ولا أدل على ذلك أيضاً من قصيدته العظيمة التي أنشدها حين موت شيخ الإسلام يقول فيها:

يا موت خذ من أردت أو فدعِ	محوت رسم العلوم والورع
أخذت شيخ الإسلام وانفصمت	عرى التقى واشتفى منه أولو البدع
غيبت بحراً مفسراً جبلاً	حبراً تقياً مجانب الشبع
فإن يحدِّث فمسلم ثقة	وإن يناظر فصاحب اللمع
وإن يخض نحو سيبويه يفه	بكل معنى من الفن مخترع
وصار عالي الإسناد حافظه	كشعبة أو سعيد الضبعي
والفقه فيه فكان مجتهداً	وذا جهاد عار من الجزع
وجوده الحاتمي مشتهر	وزهده القادري في الطمع
أسكنه الله في الجنان ولا	زال علياً في أجمل الخُلَع
مع مالك الإمام وأحمد	والنعمان والشافعي والخلعي
مضى ابن تيمية وموعده	مع خصمه يوم نفخة الفزع

والقصيدة في الرد الوافر , فانظر إلى قوله (وموعده مع خصمه يوم نفخة الفزع) لتعرف أنه لم يكن هو خصماً له , بل معظِّم معجب محب وإن خالفه في بعض المسائل , والحمد لله .

****

الشبهة الحادية عشر

ابن تيمية هو أول من ابتدع القول بحرمة التوسل بالنبي

يزعم بعض الصوفية والأشعرية أن ابن تيمية أول من حرم التوسل بالنبي , ويرون في هذا الجانب بدعة عظيمة ويدَّعون أن علماء أهل السنة والجماعة اتفقوا على أن ابن تيمية هو أول من ابتدع القول بحرمة التوسل؟ فقد شنع التاج السبكي فقال : (ويحسن التوسل والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه ، ولم ينكر ذلك أحد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك ، وعدل عن الصراط المستقيم ، وابتدع ما لم يقله عالم ، وصار بين الأنام مثلة) انتهى .

جواب الشبهة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده , وبعد : فالسبكي هذا هو أبو الحسن علي بن عبدالكافي بن علي , السبكي الصغير , وقوله هذا هو في كتابه المعروف (شفاء السقام) في الفصل الثامن منه يقول : (اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى , وجواز ذلك وحُسْنُه من الأمور المعلومة لكل ذي دين , المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين , وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين ، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان , ولا سمع به في زمن من الأزمان حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار , وابتدع ما لم

يسبق اليه في سائر الأعصار , ... وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقله عالم قبله , وصار بين أهل الإسلام مثلة) شفاء السقام ص119 من الطبعة الهندية.

وقبل الرد عليه ينبغي تحرير محل النزاع في هذه المسألة ؛ لأن لفظ التوسل لفظ مجمل , قد يراد به دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أو الاستغاثة به في حياته أو بعد موته كالاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله من جلب نفع أو دفع ضر , كالنصر على الأعداء, وشفاء المرضى , وطلب الرزق , وإعطاء الولد وإنزال المطر ونحو ذلك , وهذا شرك أكبر بإجماع النبيين والمرسلين وسائر المسلمين سنيهم ومبتدعتهم معتزليهم وأشعريهم وخارجيهم وزيديهم وغيرهم , فمن دعا نبياً أو ولياً أوملَكاً فقد كفر ومن شك في كفره فقد كفر ؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (من دعا علي بن أبي طالب فقد كفر ومن شك في كفره فقد كفر) (مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد : ص297) وهو خص علي رضي الله عنه لأنه يرد على الرافضة وإلا فكل من دعا غير الله من ولي أو نبي فهو كافر بإجماع المسلمين , فينطبق عليه ذات الحكم , لأن الدعاء هو العبادة , والعبادة لا تكون لغير الله , وهو معنى (لا إله إلا الله) ومن شروطها : اليقين فمن شك فيها كفر إجماعاً , وهذه أظهر مسألة في دين الإسلام , فإن قلت فيه من خالف ؟ قلت : بمخالفته خرج من الإسلام كائناً من كان قال تعالى : (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ (66)) [الزمر], ولم يقصد السبكي هذا في هذا الموطن , فهو يقول هنا : (السؤال بالنبي ليس سؤالاً للنبي بل سؤال به) .

ويراد بالتوسل به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه في حياته وهذا لا نزاع في جوازه .

والسبكي لا يقصد هاذين , وإنما يقصد في هذا الموطن قول الشخص في دعائه : (أسألك بنبيك , أو بحق نبيك) كما ذكر ذلك في كتابه هذا , وهذه مسألة سهلة , وهي مسألة اجتهاد , والأمر كما قال شيخ النهضة المعاصرة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب – قدس الله روحه ونور ضريحه – قال : (قولهم في الاستسقاء : لا بأس بالتوسل بالصالحين , وقول أحمد : يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، مع قولهم : إنه لا

يستغاث بمخلوق ، فالفرق ظاهر جداً ، وليس الكلام مما نحن فيه ، فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين , وبعضهم يخصُّه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأكثر العلماء ينهي عن ذلك ويكرهه ، فهذه المسألة من مسائل الفقه ، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور : إنه مكروه فلا ننكر على من فعله ، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد ، لكن إنكارنا على من دعا لمخلوق) .

فالمسألة فيها خلاف مشهور , أجازها كثير من العلماء في المذاهب الأربعة , في مذهب أحمد وغيره , ومنهم أحمد نفسه في رواية , فالأمر فيها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وإن كان في العلماء من سوَّغه فقد ثبت عن غير واحد من العلماء أنه نهي عنه , فتكون مسألة نزاع , فيرد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله, ويبدي كل واحد حجته كما في سائر مسائل النزاع , وليس هذا من مسائل العقوبات بإجماع المسلمين , بل المعاقب على ذلك معتد جاهل ظالم , فإن القائل بهذا قد قال ما قالت العلماء , والمنكر عليه ليس معه نقل يجب اتباعه لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة) التوسل والوسيلة : ص 106.

فالعجب حينئذ كل العجب من السبكي كيف يحكي الإجماع في مسائل النزاع ! وينكر على المخالف في مسائل الاجتهاد ! فإن كان لم يبلغه الخلاف فما كان يجوز له أن يجزم بالإجماع , بل يقول مثلاً : لا أعلم خلافاً , ويتبين حينئذ جهله في هذا الباب , وإن كان يعلم الخلاف فمعتد ظالم سالك غير سبيل العلماء المنصفين , شهَّر بنفسه في الأقطار وعلى مر الأزمان , بين علماء زمانه وبعدهم إلى اليوم وإلى ما يشاء الله فالخلاف في المسألة معروف مشهور وقد نقله الشيخ ابن تيمية مما يرجح وقوف السبكي عليه , ورجوع ذلك إلى خلل في قصده , وهذا مما يبين سبب خاتمته الأليمة نسأل الله العافية , قال شيخ الإسلام : (والثالث : التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته , والسؤال بذاته , فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته , لا عند قبره ولا غير قبره , ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم , وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة , أو عن من ليس قوله حجة كما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى , وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه انه لا يجوز , ونهوا عنه حيث قالوا : لا يسأل

بمخلوق , ولا يقول أحد : أسالك بحق أنبيائك , قال أبو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي في باب الكراهة : وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة , قال بشر بن الوليد : حدثنا أبو يوسف قال : قال أبو حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به , وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك , أو بحق خلقك , وهو قول أبي يوسف , قال أبو يوسف : بمقعد العز من عرشه هو الله فلا أكره هذا , وأكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك , وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام , قال القدوري : المسألة بخلقه لا تجوز لأنه لا حق للخلق على الخالق , فلا تجوز وفاقاً , وهذا الذي قاله أبو حنيفة وأصحابه)التوسل والوسيلة : ص 50.

وهذا النقل عن الحنفيه موجود في كتبهم الكبيرة المعتمدة عنهدهم المتقدمة والمتأخرة كتبيين الحقائق (6/ 31) والدر المختار(397/6) وغيرهما , وفي حاشية ابن عابدين (397/6) : (قوله : (وكره قوله بحق رسلك إلخ) هذا لم يخالف فيه أبو يوسف بخلاف مسألة المتن السابقة كما أفاده الإتقاني , وفي التاترخانية وجاء في الآثار ما دل على الجواز , قوله : (لأنه لا حق للخلق على الخالق) قد يقال إنه لا حق لهم وجوبا على الله تعالى لكن الله سبحانه وتعالى جعل لهم حقا من فضله , أو يراد بالحق الحرمة والعظمة , فيكون من باب الوسيلة وقد قال تعالى : (وابتغوا إليه الوسيلة) [المائدة:35] وقد عد من آداب الدعاء التوسل على ما في الحصن , وجاء في رواية : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي إليك , فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا الحديث اهـ . ط عن شرح النقاية لملا علي القاري , ويحتمل أن يراد بحقهم علينا من وجوب الإيمان بهم وتعظيمهم , وفي اليعقوبية يحتمل أن يكون الحق مصدراً لا صفة مشبهة , فالمعنى بحقية رسلك فلا منع فليتأمل اهـ أي المعنى بكونهم حقا لا بكونهم مستحقين , أقول : لكن هذه كلها احتمالات مخالفة للظاهر المتبادر من هذا اللفظ , ومجرد إيهام اللفظ ما لا يجوز كاف في المنع كما قدمناه , فلا يعارض خبر الآحاد , فلذا والله أعلم أطلق أئمتنا المنع على أن إرادة هذه المعاني مع هذا الإيهام فيها الإقسام بغير الله تعالى , وهو مانع آخر تأمل , نعم ذكر العلامة المناوي في حديث : (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة) عن العز بن عبدالسلام أنه ينبغي كونه مقصوراً على النبي , وأن لا يقسم على الله بغيره , وأن يكون من خصائصه , قال : وقال السبكي :

يحسن التوسل بالنبي إلى ربه ولم ينكره أحد من السلف ولا الخلف إلا ابن تيمية فابتدع ما لم يقله عالم قبله اهـ ونازع العلامة ابن أمير حاج في دعوى الخصوصية وأطال الكلام على ذلك في الفصل الثالث عشر آخر شرحه على المنية فراجعه) . فقد أنكر هذا على السبكي وكذا أنكره العلامة الألوسي أيضاً فقال في تفسيره روح المعاني (126/6) بعد أن نقل كلام السبكي هذا : (وأنت تعلم أن الأدعية المأثورة عن أهل البيت الطاهرين وغيرهم من الأئمة ليس فيها التوسل بالذات المكرمة (صلى الله عليه وسلم) ولو فرضنا وجود ما ظاهره ذلك فمؤول بتقدير مضاف كما سمعت أو نحو ذلك كما تسمع إن شاء الله تعالى , ومن ادعى النص فعليه البيان , ومارواه أبو داود في سننه ..) .

والسبكي هذا استدل على كلامه بأدلة لا تصلح للدلالة ثم شنع على مخالفيه , وما هذا والله بطريق من يريد الحق ويبتغيه , إلا أن يكون من أجهل الطلبة , فهو استدل بحديث سؤال آدم عليه السلام ربه بحق مُحَمَّد , وقد ذكر علته عن البيهقي وهو : تفرد من لا يقبل تفرده بحال وهو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم , فإن السبكي قال : (ورواه البيهقي في دلائل النبوة وقال : تفرد به عبدالرحمن) ولم يذكر كل كلام البيهقي صنيع من لا يريد الحق والله أعلم فإن البيهقي قال في الدلائل : (تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه وهو ضعيف) دلائل النبوة(489/5) وقد روى الحديث ابن عساكر وذكر كلام البيهقي بتمامه وكذا ابن كثير بعد ذكره للحديث وهكذا صنيع العلماء المنصفين . ثم قال السبكي : (وكأني به — يعني شيخ الإسلام ابن تيمية – بعد أن بلغه ذلك يطعن في عبدالرحمن بن زيد ابن أسلم) , قلت لم يطعن هو فيه بل طعن فيه الأئمة الذين يرجع إلى قولهم في الرجال , فالرجل ضعفه أحمد وأبو زرعة وأبو داود والنسائي , وقال ابن معين : ليس حديثه بشيء , وقال البخاري وأبو حاتم : ضعفه علي بن المديني جداً , وقال الشافعي ذُكر لمالك حديثا فقال : من حدثك ؟ فذكر إسنادا له منقطعاً , فقال : اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح . وقال أبو حاتم : ليس بقوي في الحديث ، كان في نفسه صالحاً ، وفي الحديث واهيا , وقال ابن عدي : له أحاديث حسان وهو ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم وهو ممن يكتب حديثه . وبهذا يعرف أن الرجل متفق على تضعيفه ولكن اختلفوا هل يعتبر بحديثه أو لا والراجح الاعتبار به والله أعلم جمعاً بين الأقوال ولصلاح الرجل كما

قال أبو حاتم فيه مع تشدده , أما تفرده فلا يقبل بلا نزاع وهذا الحديث مما تفرد به فهو ضعيف اتفاقاً من غير النظر هل للحديث علة أخرى والحمد لله . ثم قال السبكي : (ونحن نقول : قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم) وهذا أمر عجب فمن المعلوم عند القاصي والداني أنه لا يحل الاعتماد على مجرد تصحيح الحاكم ولا يعتمد على ذلك إلا من هو من أجهل الناس بالحديث أو من في قلبه زيغ , فالحاكم صحح موضوعات في مستدركه , وهو من أكثر العلماء تساهلاً في مستدركه , ثم قال السبكي : (وأما ما ورد من توسل نوح وإبراهيم عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء فذكره المفسرون , واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته وتصحيح الحاكم له) , وهذا يعني أنه لم يصح عنده إلا هذا الحديث الموضوع , فكيف يجوز له أن يقول : (إعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى , وجواز ذلك وحُسْنُه من الأمور المعلومة لكل ذي دين , المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين) !! .

لذلك قال العز ابن عبد السلام في فتاويه : (لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي إن صح الحديث) يقصد حديث الضرير وسيأتي , فقوله : إن صح الحديث يدل أنه لا يعلم صحته , وأنه لا إجماع في المسألة , ويدل أنه لم يستدل بغيره كما فعل هذا السبكي . والحديث في المسند وعند الترمذي عن عمان بن حنيف : (أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي , قال : إن شِئْتَ دَعَوْتُ وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لك , قال : فَادْعُهْ قال : فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بهذا الدُّعَاءِ : اللهم إني أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ إني تَوَجَّهْتُ بِكَ إلى رَبِّي في حَاجَتِي هذه لِتُقْضَى لِيَ اللهم فَشَفِّعْهُ فِيَّ) قال الترمذي : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من هذا الْوَجْهِ من حديث أبي جَعْفَرٍ وهو الْخَطْمِيُّ وَعُثْمَانُ بن حُنَيْفٍ هو أَخُو سَهْلِ بن حُنَيْفٍ . والحديث صححه جمع من أهل العلم , فعلى فرض صحته , لكن هناك نزاع في وجه الدلالة منه , فيحتمل أن يكون المراد التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعيد , ويحتمل التوسل بدعائه وهو الراجح لأسباب كثيرة , منها كون هذا الموافق لفعل سائر الصحابة ويكون هذا من رد المتشابه إلى المحكم , ومنها التأمل في نفس الحديث فإن فيه

طب الدعاء من الرسول صلى الله عليه وسلم , ثم إن هذا الحديث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما بعد وفاته فالصحيح عدم جواز ذلك لما جاء في صحيح البخاري عن أَنَسٍ رضي الله عنه : أَنَّ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ كان إذا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بن عبد الْمُطَّلِبِ , فقال : اللهم إِنَّا كنا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قال فَيُسْقَوْنَ) فلو جاز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لما تركه عمر وأقره عليه بقية الصحابة رضوان الله عليهم , وما يستدل به السبكي مما يخالف هذا فضعيف , وبعضه إن صح فمعارض بهذا ولا يمكن أن ينهض لذلك , وبه يتبين أن سؤال الله بنبيه أو بحق نبيه بدعة على الصحيح , لذلك قال العلامة المباركفوري : (والقول الثاني : أن التوسل به يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه , ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به في حياته , وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعا سكوتياً ؛ لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه , وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين الأول : ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضي الله عنهم , والثاني : أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون الفاضل فاضلا إلا بأعماله ..) تحفة الأحوذي (10/ 26) .

ومقصودي بهذه النقول بيان أن المسألة من مسائل النزاع , فكيف يدعي السبكي ويهول بذلك الكلام الذي لا يتفوه به طالب علم فضلاً عمن هو فوقه , وهو قوله : (ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان , ولا سمع به في زمن من الأزمان) فيا سبحان الله ما هذه الجرأة على القول على الله بلا علم , وقد نقلت لم كلام العلماء قبله وبعده , لتعرف أن عين التعصب عمية , وأن دعوى السبكي في الميزان غير سوية . وحسبي هذا الرد المختصر والمسألة محتاجة إلى بسط , ولكل مقام مقال , وقد بسط الكلام حولها غير واحد من العلماء والحمد لله , والله الموفق والمستعان والمستغاث به وعليه التكلان , وهو حسبنا ونعم الوكيل , ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

****

الشبهة الثانية عشر

ابن تيمية يجيز المولد النبوي

يقول البعض أن شيخ الإسلام يجيز الاحتفال بالمولد النبوي الشريف .

جواب الشبهة

الحمد لله ؛ موقفه رحمه الله صريح من المولد وكذا من سائر البدع وهو التحريم والرد , بل من الأصول الكبيرة التي بينها وجلاها قوله في كتاب (الاستغاثة في الرد على البكري) وفي كثر من كتبه : (وأصل الدين أن لا يعبد إلا الله , وأن لا يعبد إلا بما شرع) , ومن حقق هذين الأصلين فهو على الصراط المستقيم , وهما معنى : (لا إله إلا الله , مُحَّمد رسول الله) يقول في المولد في (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) ص: 295 : (ما يُحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام , وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيما له , والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد , لا على البدع من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيدا مع , اختلاف الناس في مولده , فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه , ولو كان هذا خيرا محضا أو راجحا لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا , فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيما له منا , وهم على الخير أحرص , وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطنا وظاهرا , ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان , فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان) .

****

الشبهة الثالثة عشر

قال ابن تيمية يقول في حديث صحيح : (لا أصل له)

حديث : (أفرضكم زيد يختلف أهل الحديث في تضعيفه وتصحيحه) , وقال شيخ الإسلام في (342/31) من المكتبة الشاملة : (وبعضهم يحتج لذلك بقوله أفرضكم زيد وهو حديث ضعيف لا أصل له) . اهـ رحمه الله .

وفي كتب الحديث ما يلي : (حديث " أفرضهم زيد " رواه الترمذي (664/5) باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي بن كعب رضي الله عنهما برقم (3790) وقال عنه: (حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث قتادة إلا من هذا الوجه , وقد رواه أبو قلابة عن أنس عن النبي ﷺ نحوه , والمشهور حديث أبي قلابة) ورواه برقم (3791) وقال عنه: (هذا حديث حسن صحيح) , ورواه ابن ماجة في سننه (55/1) برقم (154) وصححه الألباني .ورواه الإمام أحمد في مسنده (381/3) برقم (14022) وقال عنه شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح على شرط الشيخين) ورواه ابن حبان في صحيحه (16/74 9) برقم (7131) وقال عنه شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح على شرط البخاري) , ورواه ابن حبان أيضا برقم (7131) وقال عنه شعيب الأرنؤوط: (وإسناده صحيح على شرط الشيخين) ورواه الحاكم في المستدرك (477/3) برقم (5784) ورقم (7962) وقال عنه: (صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي) , وقال عنه ابن حجر في الفتح (20/12) : وقد أخذ بقوله جمهور العلماء وتمسكوا بحديث " أفرضكم زيد " وهو حديث حسن أخرجه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم من رواية أبي قلابة عن أنس وأعله بالإرسال ورجحه الدارقطني والخطيب وغيرهما , وله متابعات وشواهد ذكرتها في تخريج أحاديث الرافعي. (ذكره ابن حجر في التلخيص برقم 1343) وهو مخرج في السلسلة الصحيحة برقم (1224) ونصه : (أرحم أمتي بأمتي أبو

بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا , وإن لكل أمة أمينا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرا ح) وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم(874) , (897) وفي صحيح الترمذي برقم (2981) وفي صحيح ابن ماجة برقم (125) .

فكيف يقول شيخ الإسلام عن حديث كهذا : (لا أصل له)؟ .

جواب الشبهة

الحمد لله , كلام شيخ الإسلام هذا ثابت عنه وهو في مجموع الفتاوى (342/31) قال : (وبعضهم يحتج لذلك بقوله : (أفرضكم زيد) وهو حديث ضعيف لا أصل له , ولم يكن زيد على عهد النبي معروفاً بالفرائض) . وهذا الحديث اختلف في تصحيحه وتضعيفة , والصواب أنه مرسل ضعيف كما قال شيخ الإسلام وقبله أئمة العلل الدارقطني والبيهقي والخطيب وعبدالحق الاشبيلي , وعلته الإرسال فإن أبا قلابة لم يسمع هذا الحديث من أنس , ومما يدل على ضعفه مع كلام هؤلاء الذين هم أعلم بالعلل ممن خالفهم فيه في الجملة : أن البخاري ومسلماً رويا الحديث بدون هذه الزيادة فإن هذه الزيادة جزء من الحديث , وقلَّت زيادة يُعرِض عنها الشيخان – مع روايتهم الحديث نفسه بنفس الطريق – تسلم من قادح , فالحديث رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والنسائي في الكبرى وابن حبان من طريق خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس عَنِ النبي ﷺ قال : (أرحم أمتي بأمتي أبو بَكْرٍ , وَأَشَدُّهُمْ في دِينِ اللَّهِ عُمَرُ , و أصدقهم حَيَاءً عُثْمَانُ , وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بن ثَابِتٍ , وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أبي بن كَعْبٍ , وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بن جَبَلٍ , ألا وإن لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيناً وإن أَمِينَ هذه الأُمَّةِ أبو عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ) . والحديث رواه البخاري ومسلم من طريق الحذاء عن أبي قلابة عن أنس بلفظ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ أبو عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ) ولم يرويا هذه الزيادة خاصة في أي موضع من كتابيهما , وهو تعليل منهما لها لذلك قال الحافظ : (وإسناده صحيح إلا أن الحفاظ قالوا : إن الصواب في أوله الإرسال والموصول منه ما اقتصر عليه البخاري) فتح الباري (93/7) . والحديث مداره على خالد الحذاء عن أبي قلابة وما سوى ذلك فشاذ , وهذا الصنيع من الشيخان يدل على

صحة سماع أبي قلابة من أنس بعض الأحاديث . ومما يدل على ذلك الحجة القوية بل ربما القطعية التي ذكرها شيخ الإسلام وهي كون زيد لم يكن معروفاً بالفرائض على عهد النبي ﷺ فهو حديث منكر . والترمذي مع إمامته رحمه الله فمتساهل في التصحيح , والحاكم أكثر تساهلاً , وأما المتأخرون من علماء الحديث إلا نادراً فكثيراً ما يصححون أحاديث ويحسنونها من غير نظر للعلل في كثير من الأحيان , وإن كان فيهم علماء أجلاء مما سبب تصحيح وتحسين أحاديث كثيرة ضعيفة وهذا يسبَّب اختلافاً كثيراً في كثير من مسائل الفقه , وأما المتقدمون ومنهم ومن أجلهم الدارقطني فيعرفون غالباً غلط الثقات فقد يكون الإسناد ظاهره الصحة , لكن فيه علة خفية قل أن يعرفها غير المتقدمين ممن عرف الرجال , وسار في الكلام على الحديث على طريقة المحدثين لا الفقهاء, وشيخ الإسلام ابن تيمية فربما حسن أحاديث ضعيفة أيضاً ومشاها لكن معرفته بعلم العلل وسعة اطلاعه على كلام الأئمة في الرجال والعلل قل نظيره في المتأخرين , فكلامه في كثير من الأحاديث مبني على هذه المعرفة. وأما كلمة (لا أصل له) فشيخ الإسلام يقصد لا أصل له مرفوعاً , أي لا أصل له من كلام النبوة وهو يستعمله كثير من العلماء بهذا المعنى ؛ لأن هـقد عُرف أن الحديث رواه الحفاظ في سننهم ومسانيدهم كما أشار الشيخ إلى ذلك , ولا مشاحة في الاصطلاح .

****

الشبهة الرابعة عشر

ابن تيمية يصف الله تعالى بغير دليل

1_ قال ابن تيمية في كتاب التأسيس المجلد الأول : (لو شاء الله لأستقر على ظهر بعوضة فلستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم) , فكيف يقول ذلك .

2- قال ابن تيمية : إن الله يجلس على العرش ويُقعد بجانبه النبي ﷺ .

جواب الشبهة

الحمد لله , أما الفقرة الأولى من السؤال فليست بكلام الشيخ وإن كان الشيخ أقرها , فللشيخ ينقلها عن الإمام عثمان بن سعيد الدارمي فإنه قال في كتابه القيم جداً (نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد) (458/1) تحقيق الألمعي : (ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته ؛ فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات السبع والأرضين السبع !) , ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية لم ينكر عليه , بل استشهد بكلامه , وكلامه حق لا شك فيه , وهو لم يثبت ذلك صفة لله , لكن قال : لو شاء لفعل ذلك ؛ لأنه تعالى على كل شيء قدير , ولأنه تعالى ليس كالمخلوق الذي يعجز عن ذلك , ولأن استواءه تعالى ليس كالمخلوق بحاجة إلى العرش , ولا بد أن يكون عرش المخلوق أكبر منه أو مساو له أو قريب من ذلك ليقله , فهو يريد أن يقول أن العرش أمام عظمة الله في غاية الصغر , ومع ذلك استوى عليه بقدرته , بل هو على كل شيء قدير , ولو شاء لاستوى على ما هو أصغر منه بكثير , فمن أنكر قدرة الله على ذلك كفر ؛ لأن هذا شيء وأنكره فأنكر أن يكون الله على كل شيء قدير .

وأما الفقرة الثانية من السؤال فصفة الجلوس لله تعالى سبق الكلام عنها , وأما إجلاسه تعالى نبينا مُحَّداً ﷺ معه على العرش , فقال بها مجاهد بن جبر بإسناد صحيح عنه , ولم ينكرها أئمة كالطبري وابن القيم وغيرهم , بل انتصر لها العلامة ابن القيم رحمه الله , وأما شيخ الإسلام فلم أقف على إثباته ذلك لإلا في رسالة مكذوبة عليه , لكن قال : (وقد قال طوائف من السلف والخلف إنه يقعده معه على العرش وأنكر ذلك آخرون) الاستغاثة والرد على البكري (539/2) , والصواب مع من أنكرها بل فيها نكارة شديدة , ومثل هذا لا

يثبت بمجرد قول التابعين رحمهم الله , ولا يكون لمثلها منهم حكم الرفع , وأما احتمال أن مجاهد أخذها عن ابن عباس كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله فهو مجرد ظن وفرض لا يقبل بغير إسناد ثابت , بل لا بد في مثل هذه من حديث مرفوع ثابت أو ما له حكم الرفع من كلام الصحابة ﷺ , والثابث عن ابن عباس قوله : (الكرسي موضع القدمين) وهذا حق , أما إجلاس نبينا ﷺ على العرش فلم يثبت عنه ﷺ ولا عن صحابته , ولا يدرى من أين أخذه مجاهد رحمه الله , فلا يكون فوق العرش أحد سوى الله , بل ولا على كرسيه تعالى غير قدميه , إلا أن يثبت شيء عن نبينا فعلى الرأس كالكتاب الذي عنده تعالى فوق العرش الذي فيه : (أن رحمتي سبقت غضبي) وهو في الصحيحين , وقد قيل إنه اللوح المحفوظ . وهذا القول عن مجاهد رحمه الله فسر به معنى المقام المحمود الذي أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم , والصواب أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى التي يتأخر عنها أول و العزم من الرسل عليهم السلام ويتقدم لها نبينا مُحَّد ﷺ , وهو أنه يسجد تحت العرش ويدعو ويثني على الرب تعالى وتقدس ويشفع ويشفَّع , وهو مقام عظيم , ولا يرضى ﷺ أن يرفع فوق منزلته الشريفة , والله أعلم .

****

الشبهة الخامسة عشر

ابن تيمية يقول بفناء النار

هناك من يتهم ويشنع على شيخ الإسلام بأنه يقول بفناء النار , وأه ابتدع بذلك.

جواب الشبهة

الحمد لله , أما الجنة فبقائها مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة من أنكر ذلك كفر , وأما النار فموجودة الآن كالجنة , لكن هل تبقى أبداً كالجنة , أو تفنى بعد أن يخرج منها أهل الكبائر , ويعذب أهلها فيها أحقاباً وهي الأزمنة المتطاولة , هذه من مسائل الفروع المختلف فيها بين السلف والخلف , وذكر ابن أبي العز في شرح الطحاوية ذلك فقال بعد أن ذكر أقوال الناس أبدية النار , وأن لهم ثمانية أقوال قال : (السابع : أن الله يخرج منها من يشاء كما ورد في الحديث ثم يبقيها شيئا ثم يفنيها , فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه . الثامن : أن الله تعالى يخرج منها من شاء كما ورد في السنة ويبقى فيها الكفار بقاء لا انقضاء له كما قال الشيخ رحمه الله , وما عدا هذين القولين الأخيرين ظاهر البطلان وهذان القولان لأهل السنة ينظر في أدلتهما) شرح العقيدة الطحاوية : ص 483 . فالقول بفناء النار لا يبدَّع قائله , وقال به كثير من العلماء وبعضهم من المحققين , وسبب ذلك آثار منقولة عن الصحابة صحت أسانيدها عندهم , يمكن الوقوف عليها في شرح العقيدة الطحاوية في الموطن السابق وفي كتب التفسير وغيرها , والمسألة ليس فيها نص لكن ظواهر القرآن على عدم الفناء وهذا أقوى دليل فيها , لذلك عد ابن كثير والشوكاني وغيرهما الآثار المنقولة عن الصحابة فيها غريبة , وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فاختلف الناس في رأيه واختياره وهو يصرح بأنهما لا تفنيان , بل ينسب القول بفنائهما إلى الجهمية , لكن تكلَّف بعض المتأخرين وزعم أن قول الجهمية هو القول بفنائهما , لا النار وحدها وأن هذا هو مراد الشيخ , واستدل على ذلك برسالة منسوبة للشيخ , أسلوبها يشبه أسلوبه , وكذا استظهر كون هذا القول موصول للشيخ الشيخ عبدالزاق عفيفي رحمه الله , وهو الظاهر عندي أن الشيخ قال بذلك خاصة أن العلامة ابن القيم انتصر لهذا القول كثيراً , والله أعلم , لكن سواء قال بفنائها أو لم يقل فلا بدعة فيها , والمسألة فرعية , والذي يظهر لي أن القول بفنائها ضعيف مخالف لظواهر القرآن , وأن الشيخ ربما يكون رجع عنه وبهذا تجتمع الأقوال والله أعلم , وما استدل به العلامة ابن القيم رحمه الله وغيره على ذلك بكون رحمة الله سبقت غضبه , وأنه لا

مصلحة في تعذيبهم بعد تلك الأحقاب, ففروا من هذا ووقعوا في شر منه , وهو زوال آثار صفات الغضب والانتقام من المجرمين وشدة عذاب الرب تعالى ما لا نهاية له من الأزمان بعد فنائها , وبقاء آثار صفات الرحمة فقط , والله تعالى كما أنه غفور رحيم فشديد العقاب , ومن عظيم معرفته تعالى الجمع بين هذين الوصفين , لذلك فدوامها هو الظاهر من معنى قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ) في قوله تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ) . كقوله تعالى لما ذكر كتابة المقادير مع دقة كثير منها في اللوح : (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) في قوله تعالى : (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) , والله أعلم .

****

الشبهة السادسة عشر

ابن تيمية يلمح بأن المقام المحمود لا يستحقه النبي وحده

يقول الصوفي محمود صبيح في كتابه : (أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله و أهل بيته) : (ابن تيمية يلمح بأن المقام المحمود – لا يستحقه النبي ﷺ وحده عند استعراضه لحديث يوم القيامة حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا لها .. أنا لها » بعد أن يقول كل نبي : نفسي .. نفسي , قال ابن تيمية في دقائق التفسير (2 / 121) , وتأخر المسيح عن المقام المحمود الذي خص به مُحَمَّد ﷺ هو من فضائل المسيح , ومما يقربه إلى الله صلوات الله عليهم أجمعين) . اهـ

قلت : وهل كان نبي الله عيسى يستطيع التقدم ولم يتقدم ، أم أن هناك مشاركة أو استحقاق لمقام رسول الله ﷺ .. ابن تيمية أحد شيئين :

إما أنه لا يدري ما يقول ، وإما أن في نفسه شيئاً لرسول الله ﷺ .

وانظر إلى إيحاء ابن تيمية في تكلمه عن تأخر المسيح : (هو من فضائل المسيح ومما يقربه إلى الله) . يعنى أنه كان ممكن أن يتقدم نبي الله عيسى فلما تأخر قربه الله لهذا التأخر !!! ولا أدرى أكان ابن تيمية مع الله وعلم ما يقضى الله به ، أو ما سوف يقضى الله به ؟ ! مال ابن تيمية ولرسول الله ﷺ ؟؟

جواب الشبهة

الحمد لله , ليس هذا الرجل ممن يستحق أن يرد عليه , بل الواجب نحو مثله هو التأديب والزجر عن إساءة الأدب مع أهل العلم , والظاهر أنه ليس من أهل العلم , وكلامه مبني على سوء طوية أيضاً كما يدل على ذلك أسلوبه , فلا هو فهم كلام الشيخ ولم يحسن فيه الظن , بل هو يفهم الكلام الواضح بضده , وشيخ الإسلام ابن تيمية يقول : (وتأخر المسيح عن المقام المحمود الذي خص به مُحَمَّد ﷺ هو من فضائل المسيح ومما يقربه إلى الله صلوات الله عليهم أجمعين , فعلم أن تأخرهم عن الشفاعة لم يكن لنقص درجاتهم عما كانوا عليه بل لما علموه من عظمة المقام المحمود الذي يستدعى من كمال مغفرة الله للعبد وكمال عبودية العبد لله ما اختص به من غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) منهاج السنة النبوية (425/2) , وهذا معناه أن نبينا مُحَمَّد ﷺ هو أفضل الرسل لأنه هو الذي حصل له من كمال العبودية وكمال مغفرة الله له ما جعله يختص بالشفاعة دون غيره من الرسل الكرام , فكلامه فيه تعظيم لنبينا مُحَمَّد ﷺ غاية التعظيم لكن من غير انتقاص لغيره من الأنبياء , بل

جعل تأخر عيسى عليه السلام من فضائله , ولم يدع الشيخ علم الغيب فإن تأخر عيسى عليه السلام ثابت في الحديث , ولكن فسر سبب ذلك من الحديث أيضاً وهو قول عيسى عليه السلام : (وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى , فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ , وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ) لذلك قال شيخ الإسلام عن نبينا ﷺ : (فكان سبب قبول شفاعته كما عبودتيه وكمال مغفرة الله له) منهاج السنة النبوية (402/2). ويقول شيخ الإسلام عن نبينا ﷺ : (وهو أفضل الأولين والآخرين , وخاتم النبيين , والمخصوص يوم القيامة بالشفاعة العظمى التي ميزه الله بها على سائر النبيين , صاحب المقام المحمود , واللواء المعقود لواء الحمد , آدم فمن دونه تحت لوائه , وهو أول من يستفتح باب الجنة فيقول الخازن : من أنت ؟ فيقول : أنا محمد , فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك) الفتاوى(320/27) , ويقول عنه ﷺ أيضاً : (وهو ﷺ شفيع الخلائق , صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون , فهو أعظم الشفعاء قدرا وأعلاهم جاها عند الله , وقد قال تعالى عن موسى : (وكان عند الله وجيها) , وقال عن المسيح : (وجيها في الدنيا والآخرة) , ومحمد ﷺ أعظم جاها من جميع الأنبياء والمرسلين) التوسل والوسيلة:ص 5-6. فكيف يصح أن يتهم هذا الجاهل شيخ الاسلام ابن تيمية أو أي مسلم بهذه التهمة العظيمة وهي قوله : (ما بال ابن تيمية ولرسول الله) . وبه يعلم بطلان افتراء هذا المفتري الجاهل سيء الأدب وعند الله تلتقي الخصوم .

****

الشبهة السابعة عشر

ابن رجب الحنبلي : يصف ابن تيمية بأنه من أهل الباطل !!

قالت الصوفية : وممن مدحه بسعة العلم في البداية الحافظ ابن رجب الحنبلي , وكان مغرماً به في البداية وينقل أقواله ويمدحه , وهذا في كتبه مسطور وترجم له ترجمة حافلة ثم أظهر التراجع عن أقوال ابن تيمية , قال حافظ الدنيا الإمام ابن حجر العسقلاني في إنباء الغمر

بأبناء العمر في ترجمة الحافظ ابن رجب(176/1) :(وكان صاحب عبادة وتهجد .. ونقم عليه إفتاؤه بمقالات ابن تيمية ، ثم أظهر الرجوع عن ذلك فنافره التيميون فلم يكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، وكان قد ترك الإفتاء بأخرة) . وقد ألف الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى كتابين في الرد على التيمية : الكتاب الأول : الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة . الكتاب الثاني : مشكل الأحاديث الواردة في أن الطلاق الثلاث واحدة . والكتاب الثاني بالأخص من المسائل التي عارض فيها ابن رجب ابن تيمية مسألة الطلاق الثلاث فصنف فيها (مشكل الأحاديث الواردة في أن الطلاق الثلاث واحدة) (مفقود) وهذه المسألة من المسائل التي رد فيها الإمام السبكي على ابن تيمية , وذكر ابن المبرد بعض مما في هذا الكتاب , قال ابن رجب في مسألة الطلاق الثلاث رداً على كل من أخذ بقول وبدعة ابن تيمية : (اعلم أنه لم يثبت عن أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا من أئمة السلف المعتد بقولهم في الفتاوى وفي الحلال والحرام شيء صريح في أن الطلاق الثلاث بعد الدخول يحسب واحدة إذا سيق بلفظ واحد) ثم قال ابن رجب : (لا يعلم من الأمة أحد خالف في هذه المسألة مخالفة ظاهرة , ولا حكماً ولا قضاء ولا علماً ولا إفتاء , ولم يقع ذلك إلا من نفر يسير جداً , وقد أنكر عليهم من عاصرهم غاية الإنكار , وكان أكثرهم يستخفي بذلك ولا يظهره ، فكيف يكون إجماع الأمة على إخفاء دين الله الذي شرعه على لسان رسوله واتباعهم اجتهاد من خالفه برأيه في ذلك ؟!! هذا لا يحل اعتقاده . وهذه الأمة كما أنها معصومة من الاجتماع على ضلالة فهي معصومة من أن يظهر أهل الباطل منهم على أهل الحق , ولو كان ما قاله عمر في هذا ليس حقاً للزم في هذه المسألة ظهور أهل الباطل على أهل الحق في كل زمان ومكان وهذا باطل قطعا .

ولا زال علماء مذهبنا يفتون بهذا إلى زماننا إلا جماعة منهم [فذكرهم] وقد رأيت شيخنا الشيخ تقي الدين بن قندس يجنح إليه ويقول به وكذلك عامة شيوخنا إلا ما سيأتي والله أعلم بالصواب) اهـ كلام ابن رجب نقلاً عن ابن المبرد في رسالته (السير الحاث) فلبن رجب سمى ابن تيمية ومن معه من المخالفين بأهل الباطل , لكن ابن المبرد حذف ما بين المعقوفين فهو لم يتحمل أن ينقل عبارات ابن رجب كاملة في نقد ابن تيمية وهذا كله يعلم الصغار قبل الكبار أنه في ابن تيمية وجماعته , ابن رجب الحنبلي في أيام ولايته القضاء

كان يعزر بالضرب كل من يفتي بفتوى ابن تيمية هذه قال ابن المبرد ما نصه

(وبلغني أنه كان شخص يقال له الحريري وكان حنبلياً وكان يفتي بهذا [أي الطلاق ثلاث واحدة] فآذاه ابن رجب وضربه كما جرت للدواليبي على زماننا)

ثم نقل ابن المبرد عن جده قوله : وقد أجهدت نفسي في هذه المسألة ... بسبب ما وقع من الرجل الظالم في حق الرجل الصالح فيها)) اهـ قال ابن المبرد معلقا على كلام جده : (قلت أظن أن الرجل الظالم ابن رجب والرجل الصالح الحريري) قال الشيخ تقي الدين الحصني (ولد سنة (752هـ) في كتابه : (دفع شبه من شبه وتمرد "ص/123) وكان الشيخ زين الدين ابن رجب الحنبلي ممن يعتقد كفر ابن تيمية ، وله عليه الرد ، وكان يقول بأعلى صوته في بعض المجالس : (معذور السبكي) يعني في تكفيره "ا.هـ

فهذا التغير في حال ابن رجب هو ما ذكره ابن حجر العسقلاني في آخر أيام ابن رجب ؟؟

جواب الشبهة

الحمد لله , لم يقل الحافظ ابن رجب – رحمه الله – بأن شيخ الإسلام من أهل الباطل , بل قال : (وهذه الأمة .. معصومة من أن يظهر أهل الباطل منهم على أهل الحق , ولو كان ما قاله عمر في هذا ليس حقاً للزم في هذه المسألة ظهور أهل الباطل على أهل الحق في كل زمان ومكان وهذا باطل قطعاً) ليس فيه ذكر شيخ الإسلام , وقول العالم عن أناس أنهم أهل باطل , لا يلزم أن يكون هذا ذماً لكل واحد منهم , كقوله : صاحب بدعة , لا يلزم منه تبديعه , وكلام ابن رجب فيما يلزم من هذا القول , ولازم المذهب ليس بمذهب مالم يلتزمه صاحبه , فليس هو وصف لشيخ الإسلام بذلك , بل الظاهر أنه يعذره باجتهاده , لأنه يصفه بالألقاب الحسنة كما سيأتي , وكل هذا من ابن رجب إن ثبت هذا النقل عنه , وليس معنا إلا كتاب ابن عبدالهادي هذا , وهو جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي رحمه الله , والمسألة محتاجة إلى مزيد تحقيق , لكن لو ثبت عنه , فهو مبني على ما يراه من أن المسألة مجمع عليها , وهذا رأي قد تبين خطؤه , لذلك قال ابن عبدالهادي نفسه في نفس هذا الكتاب (سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث) : (وأما قول ابن رجب : لم يقل بهذا القول أحد من الصحابة والتابعين ، ولا من السلف , فليس بمسلم ، بل صح عن النبي والصحابة بأجمعهم , وقد ثبت عن جماعة كما في الفصل الذي قبله ،

وأفتى به من التابعين خلق كثير) ثم ذكر أدلة ابن رجب وفندها دليلاً دليلاً , ولم يذكر مُورد هذه الشبهة كلام ابن عبدالهادي هذا لأنه صاحب هوى لا ينقل إلا ما يؤيد رأيه . أما قول الحصني أن ابن رجب كان يعتقد كفر ابن تيمية ويقول : (معذور السبكي) فكذب من أشعري متعصب معروف , فلبن رجب فمعظم لشيخ الإسلام ابن تيمية وإن خالفه في مسائل , وقد ترجم له في ذيل طبقات الحنابلة ترجمة جيدة , وأطنب في الثناء عليه , ومما قاله : (أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن مُحَّد ابن تيمية الحراني ، ثم الدمشقي ، الإمام الفقيه ، المجتهد المحدث ، الحافظ المفسر ، الأصولي الزاهد . تقي الدين أبو العباس ، شيخ الإسلام وعلم الأعلام ، وشهرته تغني عن الإطناب فعب ذكره ، والإسهاب في أمره...) إلى أن قال : (وشرع الشيخ في الجمع والتصنيف ، من دون العشرين ، ولم يزل في علو وازدياد من العلم والقدر إلى آخر عمره) . وأما قول الحافظ : (ونقم عليه إفتاؤه بمقالات ابن تيمية ، ثم أظهر الرجوع عن ذلك فنافره التيميون فلم يكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، وكان قد ترك الإفتاء بأخرة) فهو يتكلم عن فتاوٍ في مسائل في الفروع كان ابن رجب يقول فيها بقول شيخ الإسلام , ثم رجع عن ذلك وأصبح يفتي بالمذهب ويشدد على من خرج ع ن المذهب , وربما يعاقب عليه إن صح ذلك , وهو لا يقصد الحط من شيخ الإسلام بل هو ينكر على كل من يرى أنه شذ في الفتوى وإن كان يجله لذلك يقول في كتابه (الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة) : (مع أنه لم يخل من كان يشذ منهم ن الجمهور عن إنكار العلماء عليه , كما كان ينكر على ابن عباس رضي الله عنه مسائل متعددة تفرد بها) , فقوله هذا عن ابن عباس ليس تنق يصاً من قدره وعلمه فكذا كلامه عن شيخ الإسلام , وأما رأي ابن رجب ومنعه من الخروج عن المذاهب الأربعة فخطأ ظاهر , وإلزام للأمة بما لم يلزمها الله به , وزعمُ ابن رجب أنه لم يصح عن غير الأربعة من الأئمة قول كما في كتابه فباطل وغريب جداً أن يصدر من مثله عفى الله عنه , ومسألة الطلاق بالثلاث قد قال بقول شيخ الإسلام ابن تيمية فيها علماء كثر من عصر الصحابة إلى اليوم كما سبق , وليس في المسألة إجماع بل لو حكي الإجماع على أنها لا تقع إلا واحدة لكان أقرب , فإنه المعمول به في زمن النبي ﷺ وفي خلافة الصديق رضي الله عنه وصدر خلافة عمر رضي الله عنه , وقد بسط الكلام حولها كثير من العلماء وذكروا من قال بها من الأئمة قبل شيخ

الإسلام كابن القيم في إغاثة اللهفان وغيره . والمقصود أن تغير ابن رجب رحمه الله في هذه المسائل الفقهية لا يقدح في شيخ الإسلام ابن تيمية , بل إن كان ثم قدح ففي ابن رجب بسبب أقواله هذه الغريبة التي لا يدرى ما سببها , وأكثر أصحاب شيخ الإسلام لم يتغيروا , ولا زال كثير من أهل العلم المحققين بعد شيخ الإسلام إلى اليوم يفتون برأي شيخ الإسلام في المسألة , وهو يعني عدم ارتضاؤهم رأي ابن رجب رحمه الله وسامحه ورحمهم أجمعين .

****

الشبهة الثامنة عشر

ابن تيمية يزعم الاطلاع على اللوح المحفوظ

يورد كثير من الصوفية كلاما للإمام ابن القيم رحمه الله حول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله , ويقولون لنا : لماذا تنكرون على مشايخنا عندما يذكرون أنهم اطلعوا على اللوح المحفوظ أو أنهم يعلمون ما في داخل الأنفس , ولماذا لا تعاملون كلام مشايخنا كما تعاملون كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . وأنقل لك فيما يلي كلام ابن القيم المقصود في سؤالي نقلاً من

احد المواقع الصوفية : قال ابن القيم : في كتابه مدارج السالكين :(ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أموراً عجيبة وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم , ووقائع فراسته تستدعي سفراً ضخماً أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة , وأن جيوش المسلمين تكسر , وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام , وأن كلب الجيش وحدته في الأموال , وهذا قبل أن يهم التتار بالحركة . ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام : أن الدائرة والهزيمة عليهم , وأن الظفر والنصر للمسلمين , وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا , فيقال له : قل إن شاء الله , فيقول : إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا , وسمعته يقول ذلك قال : فلما أكثروا علي قلت : لا تكثروا كَتب الله تعالى في اللوح المحفوظ : أنهم مهزومون في هذه الكرة وأن النصر لجيوش الإسلام , قال : وأطعمت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو , وكانت فراسته الجزئية في خلال هاتين الواقعتين مثل المطر . ولما طلب إلى الديار المصرية وأريد قتله بعد ما أنضجت له القدور وقلبت له الأمور : اجتمع أصحابه لوداعه وقالوا : قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك فقال : والله لا يصلون إلى ذلك أبدا قالوا : أفتحبس ؟ قال : نعم ويطول حبسي ثم أخرج وأتكلم بالسنة على رؤوس الناس سمعته يقول ذلك . ولما تولى عدوه الملقب بالجاشنكير الملك أخبروه بذلك , وقالوا : الآن بلغ مراده منك , فسجد لله شكرا وأطال فقيل له : ما سبب هذه السجدة فقال : هذا بداية ذله , ومفارقة عزه من الآن وقرب زوال أمره , فقيل له : متى هذا فقال : لا تربط خيول الجند على القرط حتى تغلب دولته , فوقع الأمر مثل ما أخبر به سمعت ذلك منه . وقال مرة : يدخل علي أصحابي وغيرهم فأرى في وجوههم وأعينهم أموراً لا أذكرها لهم , فقلت له أو غيري : لو أخبرتهم ، فقال : أتريدون أن أكون معرفاً كمعرف الولاة .

وقلت له يوما : لو عاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح ، فقال : لا تصبرون معي على ذلك جمعة أو قال شهرا . وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه ولم ينطق بها لساني , وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل ولم يعين أوقاتها وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها , وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته) . هنا ابن تيمية اطلع على اللوح المحفوظ وقرأ ما فيه , وعلم أن النصر هذه المرة

واقسم على ذلك تحقيقا لا تعليقا ، وان ابن تيمية يعلم ما في داخل النفوس من غير أن ينطق أصحابها بها . فلماذا الإنكار على الصوفية؟

جواب الشبهة

الجواب : الحمد لله , نحن لا ننكر كرامات الأولياء وما يحصل لهم من المكاشفات والتحديثات , وخوارق العادات , وأن الله قد يطلعهم على بعض المغيبات , أو ما يقع منهم من أنواع الفراسات الإيمانية أو غيرها , وشيخ الإسلام هنا لم يقل اطلعت على اللوح المحفوظ , لكن قال : مكتوب في اللوح المحفوظ , وهناك فرق بين الكلامين , فقد يقطع الرجل بشيء يقع بأسباب كثيرة , وكل ما سيقع فهو في اللوح المحفوظ قطعاً . لكن ننكر ادعاء علم الغيب مطلقاً , ومحاولتهم تعليق القلوب بهم ودعوة الناس للاستغاثة بهم وإخبارهم بمقاماتهم في الجنة ونحو ذلك , بل يصل بهم الأمر إلى ادعاء الألوهية وأمور كفرية , فأين هذا مما وقع لشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من الصالحين من الصحابة ومن قبلهم ومن بعدهم , فالفارق بين الكرامة وما يدعيه ضلال الصوفية هو تقوى الرجل وصلاحه , فإذا كان الرجل الذي يقع له شيء من ذلك على السُّنة والاستقامة فلا ننكر ذلك , لكن ننكر على من ادعاها وهو مخالف للسنة تارك للصلوات معظم للغناء والفسق والفجور خارج في كثير من أقواله وأفعاله عن الشريعة , فليست هذه كرامات بل هي من أفعال الشياطين. ومع هذا فلم يستند شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة ويقطع بالنصر على التحديث والإلهام وحده بل الذي جعله يقطع بذلك دليلان آخران ؛ الأول : آثار استدل بها من السنة حول فضائل الشام وأن جيشها لا يهزم وأنهم منصورون , لذلك قال في مجموع الفتاوي (505/27) في رسالة قيمة عن الشام وأهلها : (ثبت للشام وأهله مناقب بالكتاب والسنة وآثار العلماء , وهى أحد ما اعتمدته في تحضيضي المسلمين على غزو التتار , وأمري لهم بلزوم دمشق , ونهيي لهم عن الفرار إلى مصر , واستدعائي العسكر المصري إلى الشام , وتثبيت الشامي فيه , وقد جرت في ذلك فصول متعددة وهذه المناقب أمور ..) ومنها حديث : (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس) الحديث في الصحيحين وهذا لفظ مسلم , زاد الطبري وصححه : قالوا : يارسول الله وأين هم ؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس وزاد أيضاً وصحح الإسناد : وكان

مطرِّف يقول : هم أهل الشام . ومن ذلك قوله ص: 510 من نفس المجلد : (ومن ذلك أن منافقيها لا يغلبوا أمر مؤمنيها كما رواه أحمد في المسند في حديث , وبهذا استدللت لقوم من قضاة القضاة وغيرهم في فتن قام فيها علينا قوم من أهل الفجور والبدع الموصوفين بخصال المنافقين لما خوفونا منهم , فأخبرتهم بهذا الحديث وإن منافقينا لا يغلبوا مؤمنينا) ثم قال : (وقد ظهر مصداق هذه النصوص النبوية على أكمل الوجوه في جهادنا للتتار , وأظهر الله للمسلمين صدق ما وعدناهم به, وبركة ما أمرناهم به , وكان ذلك فتحاً عظيماً ما رأى المسلمون مثله منذ خرجت مملكة التتار التي أذلت أهل الإسلام , فإنهم لم يهزموا ويغلبوا كما غلبوا على (باب دمشق) في الغزوة الكبرى التي أنعم الله علينا فيها من النعم بما لا نحصيه خصوصاً وعموما , والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضاه وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله) . فأين هذا التوحيد والصدق كما نحسبه والله حسيبه من كذب ضُلال الصوفية ومخرقاتهم . الثاني : المنامات الكثيرة التي رؤيت , أو تواطؤ المنامات , فاجتماع هذه الأدلة الثلاثة : التحديث مع الآثار والمنامان هي ما جعله يقطع بالنصر , يبين ذلك قوله وهو يبين أصناف الشاكين في النصر ذلك الوقت يقول : (وهذا يظن أن ما أخبره به أهل الآثار النبوية , وأهل التحديث, والمبشرات : أماني كاذبة) مجموع الفتاوى(446/28) . والمبشرات هي الرؤى الصالحة , كما ذكر الرؤى أيضاً في موطن آخر قبل صفحات من هذا الكلام .

الشبهة التاسعة عشر

ابن عطاء الاسكندري يناصح ابن تيمية

الصوفية يتناقلون ويروجون من خلال مواقعهم على الشبكة مناظرة بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وابن عطاء الأسنكدري ، وفيها مناصحة ابن تيمية , ويقولون: نقل ابن كثير وابن الأثير من أصحاب الطبقات والسير الصحيحة هذه المناظرة التاريخية ، وهذه المناظرة ذكرتها جريدة المسلم الصادرة عن العشيرة المحمدية بالقاهرة , وذكرها السيد الجميلي في كتابه مناظرات ابن تيمية مع فقهاء عصره كلاهما نقلاً عن الكاتب المسرحي اليساري عبد الرحمن الشرقاوي في كتابه ابن تيمية ؟

جواب الشبهة

الحمد لله : المناظرة مكذوبة يعرف ذلك من قرأها من أول وهلة , من وجوه كثيرة , فضلاً عن كونها لا إسناد لها , ولم يذكرها أحد من أهل العلم , وأما قول بعض الناس أن ابن الأثير وابن كثير ذكراها فكذب , فابن الأثير مات قبل مولد شيخ الإسلام , وابن كثير لم يذكرها في كتبه , وإنما ذكرها هذا الكاتب المسرحي .

****

الشبهة العشرون

الوهابية يجعلون رؤية ابن تيمية في المنام من مصادر التشريع

يردد المتصوفة في مواقعهم بأن رؤية الشيخ ابن تيمية في المنام من مصادر الأحكام الشرعية عند الوهابية وهذا دليلهم : (قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الروح :ص 69: (وأما من حصل له الشفاء باستعمال دواء رأى من وصَفَه له في منامه فكثير جداً ، وقد حدثني غير واحد ممن كان غير مائل إلى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه رآه بعد موته ، وسأله عن شيء كان يشكل عليه من مسائل الفرائض وغيرها فأجابه بالصواب.

وبالجملة فهذا أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وأحكامها وشأنها ، وبالله التوفيق).أ.هـ ويقولون المتصوفة : (يتكلمون عن الصوفية بأن مصادرهم المنامات والإلهام

وغيرها , ولا يُنكرون على شيوخههم تجهيل من أنكر ذلك , لا أدري ما يقول الوهابية في هذه الخرافات على حد قولهم !!! وهل من وهابي يصف لنا كيفية الاتصال بابن تيمية في المنام وأخذ الوصفات) .

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد , لم يجعل العلامة ابن القيم رؤية شيخ الإسلام ابن تيمية من مصادر الشريعة , لكن أخبر بجواب شيخ الإسلام في المنام بمسألة من الشريعة ليست خارجة عن الشريعة , لكن اختلف فيها العلماء , ورؤيا المنام والإلهام من القرائن التي يعرِف بها العالم ترجيح أحد القولين من أقوال العلماء , إذا لم يترجح له أحدهما من حيث النظر وتوقف فيها , وهذا لا مانع منه , ومه هذا فهو دليل ظني عند أهل السنة , والفرق بين هذا وبين فعل ضلال الصوفية أن الصوفية يزعمون التلقي في المنام بأمور ليست في الكتاب ولا السنة ولا أقوال علماء الملة , بل بأمور مخالفة للشريعة أو بزيادة في الشريعة أو ناسخة لبعض الأحكام ونحو ذلك , وكل ما رؤي في المنام مخالف لظاهر الشريعة فغير مقبول ومردود , وبهذا يتبين بطلان ما استدلوا به , وانبلاج الفرق بين الصورتين والحمد لله .

****

الشبهة الواحدة والعشرون

ابن تيمية عند أصحابه قطب

يتناقل المتصوفة في مواقعهم موضوعاً عن قطبية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيلبسون على العوام بأن أهل السنة يعتقدون بالأقطاب الذين يستغاث بهم , و يحتجون بما يأتي , قال تلميذه الكبير أبو عبدالله مُحَمَّد بن احمد بن عبدالهادي المقدسي رحمه الله في (العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية) : (لقد أصم الأسماع وأوهى قوى المتبوعين والأتباع سماع رفع أبي العباس أحمد بن تيمية إلى القلاع ، وليس يقع من مثله أمر ينقم منه عليه إلا أنه يكون أمراً قد لبس عليه , ونسب إلى ما لا ينسب مثله إليه والتطويل على الحضرة العالية لا يليق إن يكن في الدنيا قطب فهو القطب على التحقيق) ,

وقال في (ص 430) ما نصه :

(أحمد احمد المناقب والوص ... ف ابن تيمية الكريم النجار

التقي النقي ذي المجد والس ... ود والمكرمات والإيثار

إن يكن جسمه تغيب في التر ... ب فمعناه نشره كالعرار

كان قطبا وعالما وإماما ... وشيخا لوحده بالفخار)

وقال في (ص 463) مانصه :

(هو قائم لله يهدي خلقه ... أبدا إلى سبل النجاة ويرشد

فلذاك أصبح للبرية قدوة ... في العصرإذ هو فيه قطب مفرد)

وقال في (ص 486) ما نصه :

(فمن كان قطب الكون في حال عصره ... سواه ومن قد فاز بالبدلية)

قال في (ص 486) ما نصه :

(هو الحبر والقطب الذي شاع ذكره ... وفاح شذاه كالعبير المفتت

إذا ما ذكرنا حاله وصفاته ... كأنا حللنا في نعيم وروضة

تهنأ أبا العباس بالقرب والرضا ... لقد نلت ما ترجو بكل مسرة)

وقال في (ص 491) ما نصه :

(قطب الزمان وتاج الناس كلهمو ... روح المعاني حوى كل العبادات

حبر الوجود فريد في معارفه ... أفنى بسيف الهدى أهل الضلالات)

وقال في (ص 491) ما نصه :

(قطب الحقائق حاروا في فضائله ... أهل التصوف اصحاب الرياضات

أعجوبة الدهر فرد في فضائله ... علامة الوقت في الماضي وفي الآتي).

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد , فكل هذا كذب على العلامة ابن عبدالهادي , فلم يصف ابن عبدالهادي ولا أحد من تلامذة شيخ الإسلام الكبار الشيخ ولا غيره بلفظ القطب , وهذه النقول السابقة كلها من أبيات ينقلها ابن عبدالهادي عن غيره في قصائد لهم طويلة , وكذا ما نسبه لا بن عبدالهادي أنه قال : (إن يكن في الدنيا قطب فهو القطب) فهو من كلام لأحد

علماء بغداد لم يذكر الشيخ اسمه . ولا يلزم إذا نقل شخص أبيات لغيره فيها ثناء على آخر أنه يوافقه على كل ما فيها , وبعض هؤلاء الذين نظموا هذه الأبيات رحمهم الله ربما يكون عند أحدهم بعض الأخطاء لكن منصفون عرفوا للشيخ قد ره . مع أنهم لا يقصدون بلفظ القطب ما يقصده ضلال الصوفية , ويبعد أن يعتقد ذلك محب لشيخ الإسلام ابن تيمية , وإنما يقصدون بالقطب أنه أفضل أهل زمانه أو نحو ذلك , فإن لفظ القطب لفظ مجمل لذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأما إن قصد القائل بقوله : (القطب الغوث الفرد الجامع) أنه رجل يكون أفضل أهل زمانه , فهذا ممكن لكن من الممكن أيضاً أن يكون في الزمان اثنان متساويان في الفضل وثلاثة وأربعة , ولا يجزم بألا يكون في كل زمان أفضل الناس إلا واحداً , وقد تكون جماعة بعضهم أفضل من بعض من وجه دون وجه , وتلك الوجوه إما متقاربة وإما متساوية . ثم إذا كان في الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان فتسميته (بالقطب الغوث الجامع) بدعة ما أنزل الله بها من سلطان, ولا تكلم بهذا أحد من سلف الأمة وأئمتها , وما زال السلف يظنون في بعض الناس أنه أفضل أو من أفضل أهل زمانه ولا يطلقون عليه هذه الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان) الفتاوى (102/27) . ورأي شيخ الإسلام في الأقطاب فقد بسطه ﷺ في مواطن كثيرة من كتبه , ومن ذلك ما قاله في الفتاوى (96/27) وما بعدها وأول ذلك قوله : (وأما سؤال السائل عن (القطب الغوث الفرد الجامع) فهذا قد يقوله طوائف من الناس ويفسرونه بأمور باطلة في دين الإسلام مثل تفسير بعضهم أن الغوث هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم , حتى يقول : إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته , فهذا من جنس قول النصارى في المسيح عليه السلام , والغالية في على ﷺ , وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه فإن تاب وإلا قتل , فإنه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته , ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة في (العقول العشرة) الذين يزعمون أنها الملائكة , وما يقوله النصارى فى المسيح , ونحو ذلك كفر صريح بإتفاق المسلمين , وكذلك عنى بالغوث ما يقوله بعضهم من أن في الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا يسمونهم (النجباء) فينتقى منهم سبعون هم (النقباء) , ومنهم أربعون هم (الإبدال) , ومنهم سبعة هم (الأقطاب) , ومنهم أربعة هم (الأوتاد) ومنهم واحد هو (الغوث) وأنه مقيم بمكة , وأن أهل الأرض إذا نابهم نائبة في

رزقهم ونصرهم فزعوا إلى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً , وأولئك يفزعون إلى السبعين , والسبعون إلى الأربعين , والأربعون إلى السبعة , والسبعة إلى الأربعة , والأربعة إلى الواحد , وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الأعداد والأسماء والمراتب , فإن لهم فيها مقالات متعددة حتى يقول بعضهم : إنه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت واسم خضره على قول من يقول منهم إن الخضر هو مرتبة وإن لكل زمان خضراً , فإن لهم في ذلك قولين , وهذا كله باطل لا أصل له في كتاب الله ولا سنة رسوله , ولا قاله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها ولا من المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للإقتداء بهم ..) إلى آخر كلامه العظيم رحمه الله .

****

الشبهة الثانية والعشرون

ابن تيمية يقر الصوفية على رموزهم وألفاظهم الغريبة

عندما يحاوَر الصوفية في مواقعهم حول الكلمات الكفرية والرموز السحرية , ويطلب منهم تفسريها يدَّعون أننا لم نذق ما ذاقوه , وأنا لم ندخل بينهم , فإذا دخلنا معهم وتحققنا زال عنا كل إنكار على الصوفية ويستدلون ببعض أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية منها : قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (79/5) : (واعلم أن لفظ الصوفية وعلومهم تختلف , فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم ومرموزات وإشارات تجرى فيما بينهم, فمن لم يداخلهم على التحقيق ونازل ما هم عليه رجع عنهم وهو خاسىء وحسير) اهـ.

ويقولون قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ص337 : (وفي كلام أهل التصوف عبارات موهمة في ظاهرها بل وموحشة أحيانًا، ولكن تحتمل وجهًا صحيحًا يمكن حملها عليه

فمن الإنصاف أن تحمل على الوجه الصحيح كالفناء، والشهود، والكشف ، ونحو ذلك) اهـ.

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد , فأما النقل الأول فليس لشيخ الإسلام ابن تيمية بل ينقله شيخ الإسلام عن أبي عبدالله ابن خفيف من كتابه : (اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات) وهو في الفتوى الحموية الكبرى العظيمة , وقد نقل فيها كثير من كلام كبار الأشعرية والصوفية وغيرهم , ولا يلزم حين نقله لكلامهم أن يقرهم على كل ما فيه , أو يعلق على كل كلام فيه إذا ساقه لمقصد آخر , لذلك قال الشيخ بعد نقل أقوالهم : (قلت : وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب , وليس كل من ذكرنا شيئا من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هذا الباب وغيره) الفتوى الحموية وهي في مجموع الفتاوى(101/5). وأما النقل الثاني فكذلك ليس للشيخ ولا يشبه أسلوبه لا في السياق ولا في الأسلوب , فهو لا يثني على كل أهل التصوف ففيهم ملاحدة فلاسفة أكفر من اليهود بدرجات كثيرة , لكن يثني على من يسميهم صوفية أهل السنة , ولا يرى استعمال الألفاظ المجملة لكن إن وجد فهو يستفصل منه , لذلك يصعب على مبطل أن ينتحل كلامه , وبالرجوع إلى الصفحة المشار إليها وهي في المجلد السابع , لا تجد هذا الكلام , لكن تجد تقسيم الفناء , ف شيخ الإسلام فعلاً بين أن هذه الألفاظ ألفاظ مجملة فإن وجدت في كلام صوفية أهل السنة فتحمل بمحمل حسن , وهو الواجب مع المسلم , فذكر أن الفناء له ثلاث تفسيرات منها تفسير صحيح وهو الفناء عن إرادة ما سوى الله , وكذا الشهود والكشف لها معان صحيحة ومعان باطلة فإن صدرت من مسلم فتحمل على محمل حسن قدر الإمكان ويرد متشابه كلامه إلى محكمه . وانظر تقسيمه الفناء في رسالة (العبودية) , وفي الفتاوي (337/7) .

****

الشبهة الثالثة والعشرون

ابن تيمية يقول بوجود الأقطاب والأغواث والأوتاد والنجباء

القبوريون يقولون أن ابن تيمية يقول بوجود الأقطاب والأبدال والنجباء والأغواث الذين يتصرفون بالكون من نفع الخلق وتدبير العالم ورزق العباد وغيرها , وهذا ما يوافق أقوال مشايخهم ، ويقولون لماذا الإنكار على مشايخنا وتصرفهم بالكون وشيخكم ابن تيمية يقول بذلك ففي مجموع فتاوي ابن تيمية (379/4) قال : (وقد قالوا : إن علماء الآدميين مع وجود المنافي أحسن وأفضل , ثم هم في الحياة الدنيا وفي الآخرة يلهمون التسبيح , كما يلهمون النفس , وأما النفع المتعدي , والنفع للخلق , وتدبير العالم , فقد قالوا : هم تجري أرزاق العباد على أيديهم , وينزلون بالعلوم والوحي , ويحفظون ويمسكون وغير ذلك من أفعال الملائكة. الجواب : أن صالح البشر لهم مثل ذلك وأكثر منه , ويكفيك من ذلك شفاعة الشافع المشفع في المذنبين , وشفاعته في البشر كي يحاسبوا , وشفاعته لأهل الجنة حتى يدخلوا الجنة , ثم بعد ذلك تقع شفاعة الملائكة , وأين هم من قوله : (وما ارسلناك إلا

رحمة للعالمين) ؟ وأين هم من الذين (يؤثرون بأنفسهم ولوكان بهم خصاصة) وأين هم ممن يدعون إلى الهدى ودين الحق , ومن سن سنة حسنة ؟ وأين هم من قوله صلى الله عليه وسلم : (إن من أمتي من يشفع أكثر من ربيعة ومضر) , وأين هم من الأقطاب , والأوتاد , والأغواث , والأبدال , والنجباء؟) اهـ بنصِّه .

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد , فهذ ا الكلام مذكور ضمن رسالة معروفة موجودة ضمن مجموع فتاوى الشيخ حول مسألة (التفضيل بين صالحي البشر والملائكة) , وهي من رسائل منحولة مكذوبة على الشيخ وليست له , وإن كان فيها بعض العبارات ربما تكون مستفادة من كلامه , والأدلة عل ذلك كثيرة لا يمكن بسطها هنا , لكن منها هذه العبارات المنقولة في هذا النقل , ومنها قوله: (وأين هم من الأقطاب والأوتاد والأغواث والأبدال والنجباء) فهذا مما يقطع الواقف عليه أنه ليس من كلام الشيخ , ودليل ذلك كلامه الصريح الثابت عنه بإنكار هذه الألفاظ كما في كلامه الذي نقلته في جواب الشبهة الواحدة والعشرون , ومن ذلك قوله : (فجميع هذه الألفاظ : لفظ الغوث والقطب والأوتاد والنجباء وغيرها ؛ لم ينقل أحد عن النبي ﷺ بإسناد معروف أنه تكلم بشيء منها , ولا أصحابه , ولكن لفظ الأبدال تكلم به بعض السلف , ويروى فيه عن النبي ﷺ حديث ضعيف) منهاج السنة النبوية(1/93-94) , وقد بسط الكلام حول هذه الرسالة ناصر بن حمد الفهد في كتابه (صيانة مجموع الفتاوى من السقط والتحريف) ص 38-43 , فراجعه إن شئت المزيد , وبالله التوفيق .

****

الشبهة الرابعة والعشرون

التبرك بابن تيمية في حياته وبعد وفاته

يتداول المتصوفة هذا الموضوع حتى يقنعوا أهل السنة بجواز التبرك بمشايخهم وإليك أقوالهم والنصوص التي يستدلون بها , ويقولون : أن نقل تلميذ أبن تيمية لهذا الأقوال إقرار على جواز التبرك بالمشايخ , قال تلميذهُ الحافظ عمر بن علي البزار في الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (17/1) : (اخبرني من أثق به عن من حدثه أن الشيخ ﵁ في حال صغره كان إذا أراد المضي إلى المكتب يعترضه يهودي كان منزله بطريقه بمسائل يسأله عنها , لِما كان يلوح عليه من الذكاء والفطنة , وكان يجيبه عنها سريعاً حتى تعجَّب منه , ثم إنه صار كلما اجتاز به يخبره بأشياء مما يدل على بطلان ما هو عليه , فلم يلبث أن أسلم وحسن إسلامه , وكان ذلك ببركة الشيخ على صغر سنه)اه .

قال الحافظ البزار : (فقل أن يراه أحد ممن له بصيرة إلا وانكب على يديه يقبلهما , حتى إنه كان إذا رآه أرباب المعايش يتخطون من حوانيتهم للسلام عليه والتبرك به , وهو مع هذا

يعطي كلا منهم نصيباً وافراً من السلام وغيره) اهـ الأعلام العلية (39/1) .

قال الحافظ البزار: (وكان ﷺ كثيراً ما يرفع طرفه إلى السماء لا يكاد يفتر من ذلك كأنه يرى شيئاً يثبته بنظره , فكان هذا دأبة مدة إقامتي بحضرته , فسبحان الله ما أقصر ما كانت يا ليتها كانت طالت , ولا والله ما مر على عمري إلى الآن زمان كان أحب إلي من ذلك الحين , ولا رأيتني في وقت أحسن حالاً مني حينئذ , وما كان إلا ببركة الشيخ رضي الله عنه) اهـ الأعلام العلية (41/1) .

قال الحافظ البزار : (حدثني الشيخ الصالح العارف زين الدين علي الواسطي ما معناه أنه أقام بحضرة الشيخ مدة طويلة , قال : فكان قوتنا في غالبها أنه كان في بكرة النهار يأتيني ومعه قرص قدره نصف رطل خبزاً بالعراقي , فيكسره بيده لقماً , ونأكل منه أنا وهو جميعاً , ثم يرفع يده قبلي , ولا يرفع باقي القرص من بين يدي حتى اشبع بحيث أني لا أحتاج إلى الطعام إلى الليل , وكنت أرى ذلك من بركة الشيخ) اهـ الأعلام العلية(49/1) . قال الحافظ البزار : (قالوا وازدحم من حضر غسله من الخاصة والعامة على الماء المنفصل عن غسله حتى حصل لكل واحد منهم شيء قليل , ثم أخرجت جنازته فما هو إلا أن رآها الناس فأكبوا عليها من كل جانب كلاً منهم يقصد التبرك بها حتى خشي على النعش أن يحطم قبل وصوله إلى القبر) اهـ الأعلام العلية الأعلام العلية(83/1).

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد , فالعبارات المنقولة في كلام البزار نوعان , نوع يذكر فيه بعض الأحوال الخارقة للعادة أو نحوها , ويذكر أن ذلك ببركة الشيخ , وهذا لا إشكال فيه , وهو من كرامات شيخ الإسلام , ولا ننكر كرامات الأولياء ولا بركتهم على من حولهم في الأمور المعنوية أو الحسية كتكثير الطعام ونحوه , والنوع الثاني يذكر أن بعض الناس يقصدون الشيخ أو جنازته للتبرك به , يعني بذاته , وهذا من البزار رحمه الله حكاية لأفعالهم , لا يلزم منه إقرارهم عليه , فالتبرك بذوات غير الأنبياء بدعة , وقد قال بعض الفقهاء المتأخرين بجواز التبرك بغير الأنبياء , وهذا منهم خطأ رحمهم الله ولم يستدلوا عليه إلا تبرك الصحابة بنبينا ﷺ , وهذا لا دلالة فيه من وجوه كثيرة بل هو خاص به ﷺ , ومن أدلة ذلك عدم النقل

الصحيح عنهم أنهم تبركوا بأبي بكر ولا بعمر ولا بعثمان ولا بعلي ولا بأحد من الصحابة , فلو كان خيراً لسبقونا إليه , إضافة إلى ما يفضي إليه التبرك بذوات الأحياء وآثارهم من غلو فيهم أو فتنة لهم أو غير ذلك من المفاسد , وإذا كان البزار رحمه الله يرى جواز هذا التبرك فخطأ منه لا ينسب إلى الشيخ ولا إلى غير البزار من تلاميذ الشيخ رحم الله الجميع .

والمقصود أن قول الرجل هذا ببركة الشيخ أو ببركة فلان لفظ مجمل , يحتمل معان صحيحة ومعان باطلة , فإن قصد بذلك دعاؤه , أو بركة ما أمره به وعلّمه من الخير , أو بركة معاونته له على الحق وموالاته في الدين , كما هو الظاهر من كلام العلامة البزار فهذه معان صحيحة , وإن قصد بذلك دعاءه الميت أو الغائب , أو قصد أن ينسب للشيخ أفعال لا يقدر عليها إلا الله , أو أن الله يدفع البلاء عن أهل البلد ببركة الميت المدفون فيها أو في غيرها فباطل وخرافة , وقد ذكر هذا شيخ الإسلام في غير موضع من كتبه , والله سبحانه وتعالى أعلم.

****

الشبهة الخامسة والعشرون

ابن تيمية يثبت نورية النبي صلى اللهعليه وسلم

معلوم أن النور المحمدي عند الصوفية هو أول ظاهر في الوجود , وهو الحقيقة المحمدية وتبني على هذا الاعتقاد الكثير من العقائد الباطلة ، والصوفية يقولون ابن تيمية الحراني يثبت نورية النبي ﷺ ووافقهم على هذا الاعتقاد . ففي مجموع فتاوي ابن تيمية (10/13) قال : (وكذلك قوله : (قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) قيل : النور هو مُحَّد عليه الصلاة والسلام)

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد , فالقول بأن المراد بالنور في هذه الآية هو مُحَّد ﷺ ليس قول شيخ الإسلام وحده بل هو ينقله عن السلف , وهو قول ابن عباس وقتادة وغيرهما , ومذكور في كتب التفسير , يقول ابن جرير الطبري : ((مِّنَ اللّهِ نُورٌ) يعني بالنور مُحَّداً ﷺ الذي أنار الله به الحق وأظهر به الإسلام , ومحَق به الشرك , فهو نور لمن استنار به يبين الحق , ومن إنارته

الحق تبيينه لليهود كثيراً مما كانوا يُخفون من الكتاب) , فإثبات النور للنبي ﷺ بهذا المعنى حق , أما المعاني الباطلة الغالية التي يقصدها ضُلال الصوفية فلم يقصدها الشيخ رحمه الله لا من قريب ولا من بعيد , وشيخ الإسلام هنا إنما يحكي كلام السلف في الآية , وكلامه بتمامه : (قيل : النور هو مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام , وقيل : هو الإسلام). وهذه الأساليب في الرد على الشيخ وأتباعه من أهل الحق والاتباع هي أساليب من عجز عن إيراد حجج مقبولة صحيحة أو ضعيفة فيلجأ لمثل هذه الأساليب الغريبة , التي ليست هي بدليل ولا بشبهة دليل , وهذا من خذلان الله لهم والحمد لله .

الشبهة السادسة والعشرون

ابن تيمية يقول بالبدعة الحسنة

يستدل الصوفية بكلام شيخ الإسلام على أن هناك بدع حسنة , ومن ذلك قول ابن تيمية في كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة : (وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة , وهي ضلالة باتفاق المسلمين , ومن قال في بعض البدع إنها بدعة حسنة فإنما ذلك إذا قام دليل شرعي أنها مستحبة , فأما ما ليس بمستحب ولا واجب فلا يقول أحد من المسلمين إنها من الحسنات التي يتقرب بها إلى الله) ا.هـ .

يقول الصوفية : هذا الكلام هو شرط ابن تيمية في قبول البدعة الحسنة وهو موافق لعلمائنا مخالف للوهابية.

وقال أيضا في مجموع فتاويه مسألة الزيارة : (إذًا البدعة الحسنة عند من يقسِّم البدع إلى حسنة وسيئة لابد أن يستحبها أحد من أهل العلم الذين يقتدى بهم , ويقوم دليل شرعي على استحبابها ، وكذلك من يقول : البدعة الشرعية كلها مذمومة لقوله ﷺ في الحديث الصحيح : كل بدعة ضلالة, ويقولُ عمر في التراويح : نعمتِ البدعة هذه . إنما سماها بدعة

باعتبار وضع اللغة . فالبدعة في الشرع عند هؤلاء : ما لم يقم دليل شرعي على استحبابه . ومآل القولين واحد.

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد , فشيخ الإسلام لا يرى تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة , بل يرى أن كل بدعة ضلالة كما جاء به الحديث , لكن هو يبين مقصد العلماء الذين قالوا بالبدعة الحسنة , وأنهم لم يريدوا ما أراده أهل البدع , وإنما يريدون ما قام عليه دليل شرعي فيبين أن خلافهم لفظي ؛ لأنهم أرادوا بالبدعة معناها اللغوي , وهو التجديد والإحياء لسنة هجرت , وأما البدعة بالمعنى الشرعي وهو المحدث في الدين وما ليس له أصل فلا يقول أحد أن ذلك من الحسنات , لذلك يقول : (ومن قال في بعض البدع إنها بدعة حسنة فإنما ذلك إذا قام دليل شرعي أنها مستحبة , فأما ما ليس بمستحب ولا واجب , فلا يقول أحد من المسلمين إنها من الحسنات التي يتقرب بها إلى الله) , فقال (ومن قال) ولم يقل : أنا أقول , ويقول : (إذ البدعة الحسنة عند من يقسِّم البدع إلى حسنة وسيئة لابد أن يستحبها أحد من أهل العلم الذين يقتدى بهم , ويقوم دليل شرعي على استحبابها) فهو يجعل ذلك عند من يقسم البدعة إلى حسنة وسيئة وهو لم يقل ذلك , وهو واضح لمن رزق فهماً وقلباً سليمين , والحمد لله رب العالمين .

****

الشبهة السابعة والعشرون

ابن تيميه يقول بعلم الباطن

من عقائد الصوفية علم الظاهر والباطن , حتى أن للقرآن والحديث ظاهر وباطن عندهم فظاهر القرآن والحديث الذي يفهم منه العوام ما يفهمون لا يلزم مشايخهم وأوليائهم لأنهم تتنزل عليهم المعاني المقصودة والمرادة من ذلك , وهو ما يسمى بعلم الباطن .

وابن تيمية يقول بعلم الباطن وإليك أقواله : قال ابن تيمية في كتابه الفرقان (ص :82) (علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها , وهو علم بحقائق الإيمان الباطنة وهذا أشرف من أعمال الإسلام الظاهرة) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوي (237/13) : (وفيهم من يفضِّل علياً في العلم الباطن كطريقة الحربي وأمثاله , ويدعون أن علياً كان أعلم بالباطن , وأن هذا العلم أفضل من جهته , وأبو بكر كان أعلم بالظاهر , وهؤلاء عكس محققي الصوفية وأئمتهم , فإنهم متفقون على أن أعلم الخلق بالعلم الباطن هو أبو بكر الصديق, وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن أبا بكر أعلم الأمة بالباطن والظاهر , وحكى الإجماع على ذلك غير واحد) اهـ.

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد , فكلام الشيخ واضح , وأنه لا يقصد الباطن الذي يقصده ضلال الصوفية , وباطنيتهم , لكن الإشكال في هذا الكلام هو سبب الإشكال في كثير من الشبهات السابقة , وهو اللفظ المجمل , فالعلم الباطن لفظ مجمل , يراد به ما في القلب من العلوم والأحوال كالصدق والإخلاص والخشية والمحبة والتوكل وغير ذلك من أعمال القلوب فهي باطنة في القلوب غير ظاهرة , ويراد به ما يخفى على كثير من الخلق من إشارات النص وتنبيهه مما قد لا يتنبه له إلا خواص أهل العلم , ويراد به الإيمان بالغيب , ويراد به ما يقصده غلاة الصوفية والفلاسفة والباطنية من علوم باطنة مخالفة لظاهر الشرع, وعلوم لم يأت بها الشارع , فالمعاني الثلاث الأول فصحيحة وأعلم الأمة بها وأكملهم فيها أبو بكر الصديق ﵁ بلا نزاع في ذلك عند أهل السنة , والرابع كفر أو ضلال, وشيخ الإسلام ابن تيمية بسط هذه المسألة بما لا تجده عند غيره فقال رحمه الله : (قول الرجل : الباطن , إما أن يريد علم الأمور الباطنة مثل العلم بما في القلوب من المعارف والأحوال , والعلم بالغيوب التي أخبرت بها الرسل , وإما أن يريد به العلم الباطن أي الذي يبطن عن فهم أكثر الناس أو عن فهم من وقف مع الظاهر ونحو ذلك , فأما الأول فلا ريب أن العلم منه ما يتعلق بالظاهر كأعمال الجوارح , ومنه ما يتعلق بالباطن كأعمال القلوب , ومنه ما هو علم بالشهادة وهو ما يشهده الناس بحواسهم , ومنه ما يتعلق بالغيب وهو ما غاب عن إحساسهم وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب .. والعلم بأحوال القلوب كالعلم بالاعتقادات الصحيحة والفاسدة والإرادات الصحيحة والفاسدة , والعلم بمعرفة الله ومحبته والإخلاص له وخشيته والتوكل عليه والرجاء له والحب فيه والبغض فيه والرضا بحكمه والإنابة إليه , والعلم بما يحمد ويذم من أخلاق النفوس كالسخاء والحياء والتواضع والكبر والعجب والفخر والخيلاء وأمثال ذلك من العلوم المتعلقة بأمور باطنة في القلوب ونحوه قد يقال له : (علم الباطن) أي علم بالأمر الباطن , فالمعلوم هو الباطن ... فيكون هذا العلم باطنا من جهتين من جهة كون المعلوم باطنا ومن جهة كون العلم باطناً لا يعرفه أكثر الناس , ثم إن هذا الكلام في هذا العلم يدخل فيه من الحق والباطل ما لا يدخل في غيره , فما وافق الكتاب والسنة فهو حق , وما خالف ذلك فهو باطل كالكلام في الأمور الظاهرة . وأما إذا أريد بالعلم الباطن العلم الذي

يبطن عن أكثر الناس أو عن بعضهم فهذا على نوعين : أحدهما : باطن يخالف العلم الظاهر , والثاني لا يخالفه ؛ فأما الأول فباطل فمن ادعى علما باطناً أو علماً بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئاً إما ملحدا زنديقا وإما جاهلاً ضالاً . وأما الثاني فهو بمنزلة الكلام في العلم الظاهر قد يكون حقا وقد يكون باطلا , فان الباطن إذا لم يخالف الظاهر لم يعلم بطلانه من جهة مخالفته للظاهر المعلوم , فان علم أنه حق قبل وان علم أنه باطل رد وإلا أمسك عنه , وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم ممن وافقهم من الفلاسفة وغلاة المتصوفة والمتكلمين وشر هؤلاء القرامطة فإنهم يدعون أن للقرآن والإسلام باطناً يخالف الظاهر فيقولون : الصلاة المأمور بها ليست هذه الصلاة , أو : هذه الصلاة إنما يؤمر بها العامة وأما الخاصة فالصلاة في حقهم معرفة أسرارنا , والصيام كتمان أسرارنا , والحج السفر إلى زيارة شيوخنا المقدسين , ويقولون إن الجنة للخاصة هي التمتع في الدنيا باللذات , والنار هى التزام الشرائع والدخول تحت أثقالها, ويقولون إن الدابة التي يخرجها الله للناس هي العالم الناطق بالعلم في كل وقت , وإن إسرافيل الذي ينفخ في الصور هو العالم الذي ينفخ بعلمه في القلوب حتى تحيا , وجبريل هو العقل الفعال الذي تفيض عنه الموجودات , والقلم هو العقل الأول الذي تزعم الفلاسفة أنه المبدع الأول , وأن الكواكب والقمر والشمس التي رآها إبراهيم هي النفس والعقل وواجب الوجود , وأن الأنهار الأربعة التي رآها النبي ليلة المعراج هي العناصر الأربعة , وأن الأنبياء التي رآها في السماء هي الكواكب فآدم هو القمر ويوسف هو الزهرة وادريس هو الشمس وأمثال هذه الأمور وقد دخل في كثير من أقوال هؤلاء كثير من المتكلمين والمتصوفين) .

الفتاوى(13/233-237) .

****

الشبهة الثامنة والعشرون

ابن تيمية يقول : إن الولي الصالح يقول للشيء كن فيكون

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (376/4- 377) متحدثاً عن الحديث القدسي فقال : (وقد جاء في الأثر : (يا عبدي أنا أقول للشيء كن فيكون أطعني أجعلك تقول للشيء: كن فيكون , يا عبدي أنا الحي الذي لا يموت ؛ أطعني أجعلك حيا لا تموت) , وفى أثر: (أن المؤمن تأتيه التحف من الله من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت) فهذه غاية ليس وراءها مرمى كيف لا وهو بالله يسمع , وبه يبصر , وبه يبطش , وبه يمشى فلا يقوم لقوته قوة) اهـ كلام ابن تيمية بنصه .

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد , فهذه الآثار موجودة ضمن الرسالة المنسوبة للشيخ حول (التفضيل بين الملائكة والناس) وقد بينت لك فيما سبق في جواب الشبهة الثالثة والعشرون أنها رسالة منحولة مكذوبة على الشيخ في جملتها وليست له , ولا تجد الشيخ يذكر هذه الآثار في شيء من كتبه إلا في هذا الموطن , وهذه الآثار من البراهين الأخرى الدالة على كون هذه الرسالة ليست للشيخ , بل هذه الآثار بهذا اللفظ وهذا السياق لا تجدها في شيء من كتب العلم إلا في مثل مواقف النفري الصوفي الذي يثني عليه أمثال ابن عربي والشعراني

والتلمساني وأمثالهم , وتجدها في الفتوحات المكية لابن عربي , انظر مواقف النفري (52/1, 58) , والفتوحات (288/3) , (252/4) , لكن جاء الأثر في بعض كتب التاريخ كأخبار مكة للفاكهي (466/1-467)(1028) , وفي حلية الأولياء (303/7) بألفاظ أخر وهي : (قال ربكم : أنا الحي الذي لا أموت أدعوكم إلى أن تكونوا أحياء لا تموتون ... قال ربكم : أنا الذي إذا أردت شيئاً كان أدعوكم إلى أن تكونوا بحال إذا أردتم شيئاً كان لكم) يعني أنه تعالى يقول : أدعوكم إلى الجنة , ففيها يكون أهلها أحياء لا يموتون , وإذا أرادوا شيئاً كان , وهو أثر مقطوع من قول رجل مجهول غير معروف . لكن حرَّف هذه الألفاظ النفري وابن عربي وأمثالهما . أما شيخ الإسلام ابن تيمية فبريء من ذكر هذه الألفاظ , وهذا الرجل الذي أدخل هذه الآثار وغيرها مما سبق ذكره في رسالة ونسبها لشيخ الإسلام بعد خلطها ببعض كلام الشيخ ذو دهاء ومكر , ويشبه فعله أفعال المستشرقين المعاصرين , وإن كانوا أكثر مكراً منه , ولكن أفعالهم لا تروج بحول الله حين النظر إليها بعين التحقيق ومنهج البحث السليم , وبالله التوفيق .

****

الشبهة التاسعة والعشرون

ابن تيمية يقول : الولي قادر على إحياء الموتى

يعتقد الصوفية أن مشايخهم يحيون الموتى , ويقولون إن شيخ الإسلام يقول بقولهم , فيقولون : (هذه أقوال ابن تيمية في بعض كرامات الأولياء , ومنها إثباته أن الولي يمكن أن يحيي الموتى , وهو يرد بهذا على أتباعه الذين يقيمون الدنيا ويقعدونها إذا سمعوا أحد الصوفية يتكلم بمثل هذه الكرامات أو أقل منها بكثير , قال ابن تيمية رحمه الله : (فآيات الأنبياء مستلزمة لصدقهم وصدق من صدَّقهم وشهد لهم بالنبوة , والآيات التي يبعث الله بها أنبياء قد يكون مثلها لأنبياء أخر مثل إحياء الموتى ؛ فقد كان لغير واحد من الأنبياء , وقد يكون إحياء الموتى على يد أتباع الأنبياء كما قد وقع لطائفة من هذه الأمة , ومن أتباع عيسى , فإن هؤلاء يقولون : نحن إنما أحيي الله الموتى على أيدينا لاتباع مُحَّد أو المسيح , فبإيماننا بهم وتصديقنا لهم أحيي الله الموتى على أيدينا فكان إحياء الموتى مستلزماً لتصديقه عيسى ومُحَّداً لم يكن قط مع تكذيبهما فصار آية لنبوتهم) كتاب النبوات لابن تيمية ص 213 . وقال أيضاً : (فانه لا ريب أن الله خص الأنبياء بخصائص لا توجد لغيرهم , ولا ريب أن من آياتهم ما لا يقدر أن يأتي به غير الأنبياء , بل النبي الواحد له آيات لم يأت بها غيره من الأنبياء كالعصا واليد لموسى وفرق البحر ، فإن هذا لم يكن لغير موسى , وكانشقاق القمر , والقرآن , وتفجير الماء من بين الأصابع , وغير ذلك من الآيات التي لم تكن لغير مُحَّد من

الأنبياء ، وكالناقة التي لصالح فإن تلك الآية لم يكن مثلها لغيره وهو خروج ناقة من الأرض ، بخلاف إحياء الموتى فانه اشترك فيه كثير من الأنبياء بل ومن الصالحين) النبوات ص 218 .
وقال : (ولا يقدر أحد من مكذبي الأنبياء أن يأتي بمثل آيات الأنبياء ، وأما مصدِّقوهم فهم معترفون بأن ما يأتون به هو من آيات الأنبياء , مع أنه لا تصل آيات الأتباع إلى مثل آيات المتبوع مطلقاً , وإن كانوا قد يشاركونه في بعضها كإحياء الموتى وتكثير الطعام والشراب , فلا يشركونه في القرآن وفلق البحر وانشقاق القمر ؛ لأن الله فضل الأنبياء على غيرهم) النبوات ص 232 .

وفي كتاب الفرقان لابن تيمية ذكر التالي في جملة كرامات الأولياء : (وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو ، فقال : اللهم لا تجعل لمخلوق علي منة ، ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه ، فلما وصل إلى بيته قال: يا بني خذ سرج الفرس فإنه عارية ، وأخذ سرجه فمات الفرس) . وذكر أيضاً : (ورجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق ، فقال له أصحابه : هلم نتوزع متاعك على رحالنا ، فقال لهم : أمهلوني هنيهة ، ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ، ودعا الله تعالى فأحيا له حماره ، فحمل عليه متاعه) .

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد ؛ فإحياء الموتى كهذا الذي وقع لصلة ونحوه مما يعده أهل السنة من كرامات الأولياء التي يقرون بها , وقد حصل هذا لذلك الرجل من بني إسرائيل الذي حكى الله قصته في سورة البقرة فقال تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) , وهذا رأى العظام كيف ينشزها الله تعالى ثم يكسوها لحماً , وهو أعظم من مجرد الإحياء , وهذا الرجل قال مجاهد بن جبر : هو رجل من بني إسرائيل , يعني ليس بنبي وحسبك بمجاهد في التفسير , وهو عزرا كما في قول كثير من المفسرين , والله تعالى قد أبهمه , فالجزم بأنه نبي غير ممكن , بل لو كان نبياً لما أبهمه تعالى هذا الإبهام فقال

سبحانه : (كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ) والله أعلم , وإحياء الموتى لا يمكن لغير أتباع الأنبياء ؛ لأنه خارق للعادة وأفعال السحرة والمشعوذين ليست كذلك , وإنما من أفعال وأقوال الشياطين كأن يطير بهم في الهواء , وهذا يفعله الشيطان أو يقتل ويفرق , وهذا قد يفعله النمَّام والحاقد فقد يقتل الحاقد غيره بقهره , أو يوهم الساحر الناس بإدخال سيف في بطنه وليس بحقيقة , ونحو ذلك , فليس ذلك بخرق للعادة , أما إحياء الموتى فخارق للعادة لا يكون للسحرة والكهان ونحوهم إلا للدجال الأكبر , والفرق بين الدجال وبين الصالحين هو الصلاح والتقوى , لكن السحرة والمشعوذين يوهمون الناس بذلك بحيل ليس لها حقيقة , ولهذا قال أهل العلم : لو رأيتم الرجل يطير في الهواء أو يمشى على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا وقوفه عند الأمر والنهى , وقال الشافعي: لو رأيتم صاحب بدعة يطير في الهواء فلا تغتروا به , والله أعلم .

****

الشبهة الثلاثون

ابن عبدالهادي يقول : نعش بن تيمية مهاب وتطوف به الملائكة

يروج الصوفية أبيات لابن عبد الهادي الحنبلي يقول فيها : أن نعش ابن تيمية مهاب وتطوف بنعشه الملائكة , وهذه هي الأبيات :

(خشعت لهيبه نعشك الأبصار لما عليه تبدت الأنوار

وبه الملائكة الكرام تطوفت زمراً وحفت حوله الأبرار)

المرجع : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ص 434 .

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد ؛ فالجواب أن هذين البيتين ليسا لابن عبدالهادي , فإن ابن عبدالهادي قال : (من قصائد الشيخ مجير الدين أحمد بن الحسن بن مُحَمَّد الخياط الجوخي الدمشقي مرثية في الشيخ رحمه الله تعالى) ثم ذكر هذه الأبيات في العقود الدرية ص 434 . وحال هذين البيتين كحال الأبيات التي سبق الكلام عنها فكلها ينقلها الشيخ رحمه الله عن غيره , وليست من نظمه . وليس في البيتين ما ينكر مع حسن الظن بالقائل , ومع احتمال القصد الحسن في كلامه , فقوله : (تطوّفت) فليس المراد به الطواف المعروف , ولكن بمعنى أنها معه ومِن حوله وليس هذا بغريب , فكون الأبرار من الإنس يحفُّون ويتبعون جنازة إمام

من أئمة المسلمين ويشهدون له بالخير فهي علامة خير , وهم شهداء الله في الأرض كما صح به الحديث عن نبينا ﷺ , فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عليها خَيْرًا , فقال النبي ﷺ: (وَجَبَتْ) , ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عليها شَرًّا, فقال : (وَجَبَتْ) , فقال عُمَرُ بن الْخَطَّابِ : ما وَجَبَتْ ؟ قال: (هذا أَثْنَيْتُمْ عليه خَيْرًا فَوَجَبَتْ له الْجَنَّةُ, وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عليه شَرًّا فَوَجَبَتْ له النَّارُ؛ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ في الأرض) متفق عليه . لذلك قال الإمام أحمد : (قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز) رواه شيخ الإسلام الصابوني , وقد كانت جنازة الإمام أحمد عظيمة مشهودة بخلاف خصومه , وكذا كانت جنازة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما هو معروف في كتب التاريخ يقول الحافظ ابن كثير في تاريخه : (ثم شرعوا في غسل الشيخ وخرجت إلى مسجد هناك , ولم يدَعوا عنده إلا من ساعد في غسله , منهم شخينا الحافظ المزي وجماعة من كبار الصالحين الأخيار أهل العلم والإيمان , فما فرغ منه حتى امتلأت القلعة وضج الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحم , ثم ساروا به إلى الجامع .. ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموي والخلائق فيه بين يدي الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها مالا يحصى عدتهم إلا الله تعالى, فصرخ صارخ وصاح صائح : هكذا تكون جنائز أئمة السنة , فتباكى الناس وضجوا عند سماع هذا الصارخ , ووضع الشيخ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة , وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف بل مرصوصين رصًّا لا يتمكن أحد من السجود إلا بكلفة .. وجاء الناس من كل مكان .. وكثر الناس كثرة لا تحد ولا توصف , فلما فرغ من أذان الظهر أقيمت الصلاة عقبه على السدة خلاف العادة , فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لغيبة الخطيب بمصر فصلى عليه إماماً وهو الشيخ علاء الدين الخراط ثم خرج الناس من كل مكان من أبواب الجامع والبلد كما ذكرنا , واجتمعوا بسوق الخيل ومن الناس من تعجل بعد أن صلى في الجامع إلى مقابر الصوفية , والناس في بكاء وتهليل في مخافته كل واحد بنفسه , وفي ثناء وتأسف , والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يبكين ويدعين ويقلن : هذا العالم , وبالجملة كان يوماً مشهوداً لم يعهد مثله بدمشق إلا أن يكون في زمن بني أمية .. ثم دفن عند أخيه قريبا من أذان العصر على التحديد , ولا يمكن أحد حصر من حضر الجنازة .. وتردد شيخنا الإمام العلامة برهان الدين الفزاري إلى قبره في الأيام الثلاثة , وكذلك جماعة من علماء الشافعية ,

وكان برهان الدين الفزاري يأتي راكباً على حماره وعليه الجلالة والوقار حمه الله) . والملائكة تحضر حلق العلم ودعاء المسلم وجنازته وكل مواطن الخير والحمد لله , وهو يصف جنازة الشيخ وما رأى فيها من خشوع ورفع للإيمان وحضور أهل الخير والصلاح وكله من علامات الخير وعلامات حضور ملائكة الرحمة والحمد لله.

****

الشبهة الواحدة والثلاثون

ابن تيمية يكذب على الترمذي

الصوفية يقولون : أبن تيمية يكذب على الترمذي ؟ يقولون : قال ابن تيمية : (وفي الترمذي عنه ﷺ أنه قال : (لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر) العقيدة الأصفهانية(157/1) , ولم يروي الترمذي هذا الحديث المنكر فأين رواه الترمذي؟

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد , فهذا من باب الوهمٌ وليس من باب الكذب عند أحد من أهل العلم , ولا يقدح فيه مع سعة محفوظاته , بل الخطأ النادر من الحافظ علامة صدقه , لذلك قال يحيى بن معين : (من لا يخطئ في الحديث فهو كذاب) الكامل لابن عدي (102/1) , فلم يسلم من الوهم كبار الحفاظ , لذلك قال ابن المبارك : (ومن يسلم من الوهم) الكامل لابن عدي (102/1) . وذكر الذهبي أوهام بعض الحفاظ ثم قال : (فبعد هؤلاء الأعلام من يسلم من الوهم) سير أعلام النبلاء (217/15) , وقال الصنعاني في توضيح الأفكار (153/1) : (ولم يسلم من الوهم في الروايات أحد من الثقات غالباً والله أعلم , قد عرفت أن الكذب عند الجمهور ما لم يطابق الواقع , فمن أخبر به متعمداً كان كاذبا آثما , ومن أخبر به غير متعمد كان كاذباً غير آثم فالواهم غير آثم قطعاً) , وسبب وهم الشيخ تشابه الحديثين فالحديث الذي رواه الترمذي (3686) هو عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب) قال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مشرح بن عاهان . فظنه الشيخ هذا الحديث وليس كذلك فماذا كان ,

والحديث الذي ذكره الشيخ لم يفتريه بل رواه الحفاظ ومنهم أحمد وهو أجل من الترمذي في فضائل الصحابة (676) عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ : (لو لم أبعث فيكم لبعث عمر بن الخطاب) , قال ابن عدي في الكامل: غير محفوظ , فالحمد لله .

****

الشبهة الثانية والثلاثون

ابن تيمية يذكر أحاديث لا أصل لها

الصوفية يقولون : أين أصل هذه الأحاديث التي يرويها ابن تيمية :

1- يقول ابن تيمية : (كما جاء في الحديث : (أشهد أن كل معبود من لدن عرشك إلى قرار أرضك باطل إلا وجهك الكريم) مجموع فتاوى ابن تيمية (ج2 ص423).

2- في حديث مأثور : (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن النقي التقي الوداع اللين) مجموع فتاوى ابن تيمية (ج2 ص 384) فأين أصل هذا الحديث. 3- قال ابن تيمية رحمه الله : (وقد ثبت في الصحاح عن النبي أنه قال : (يقبض الله الأرض ويطوى السموات بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض) , وفى حديث آخر (وإنه ليدحوها كما يدحو الصبيان بالكرة) فأين هذا الحديث في الصحاح (وإنه ليدحوها كما يدحو الصبيان بالكرة) وأين وُجد لفظ : يدحو الصبيان بالكرة في أي الصحاح ؟ مجموع الفتاوى(42/3).

4- قال ابن تيمية : (ويوصف صاحب الصفة بالعموم أيضاً كما في الحديث الذي في سنن أبى داود أن النبي مر بعلي وهو يدعو فقال : يا على عم فإن فضل العموم على الخصوص كفضل السماء على الأرض) مجموع فتاوى ابن تيمية (162/2) أين رواه أبي داود ؟؟ .

5- قال : (كما في صحيح البخاري عن أبى هريرة عن النبي أنه قال : يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة , وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه, ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه , فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي

يبصر به , ويده التي يبطش بها , ورجله التي يمشى بها , فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يسعى , ولئن سألني لأعطينه , ولئن استعاذني لأعيذنه , وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبد ي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه , فهذا أصح حديث رو ي في الأولياء) مجموع فتاوى ابن تيمية (371/2)

أين هذه الزيادة: (فبي يسمع , وبي يبصر , وبي يبطش , وبي يسعى) في البخاري ؟!

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد , أما الأثر الأول : فلفظ الحديث قد يقال على الأثر , ويقال الأثر على الحديث عند بعض المحدثين , وهو ما يقصده الشيخ هنا , ولذلك قال في الرد على الاخنائي ص: 216 عن هذا الأثر : (كما جاء في الأثر) وذكره , وقال في مجموع الفتاوى (516/5): (كالدعاء المأثور) وذكره , وهذا الأثر رواه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة : ص66 , وفي مجابو الدعوة , وذكره ابن قدامة في التوابين : ص55 .

وأما الأثر الثاني : (ما وسعني أرضي ولا سمائي ..) فهو في قوت القلوب لأبي طالب المكي (207/1) قال : (وفي الخبر المأثور عن الله تعالى ..وذكره) , وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين , وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار : لا أصل له , وسئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : (هذا مذكور في الإسرائيليات ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ , ومعنى : (وسعني قلبه) الإيمان بي ومحبتي ومعرفتي , و[أما] من قال : إن ذات الله تحل في قلوب الناس فهذا من النصارى خصوا ذلك بالمسيح وحده) مجموع الفتاوى(376/18) .

وأما الأثر الثالث : فالسؤال عن زيادة (وإنه ليدحوها كما يدحو الصبيان بالكرة) أين هي في الصحاح , وشيخ الإسلام لم يقل إن هذا في الصحاح بل قال : (وفي حديث آخر: وإنه ليدحوها كما يدحو الصبيان بالكرة) يعني أن هذا ليس في الصحاح بل في حديث آخر , وقال في درء التعارض(58/4) : (وفي بعض الآثار : ويدحوها كما يدحو أحدكم الكرة) يدل أنه أثر , وهذا الأثر لم أقف عليه , ولكن هو مذكور في بعض الكتب , وإلا لم يورده الشيخ , وكم من أثر وعلم عن السلف – لا حديث صحيح مرفوع– لم يصلنا , وليس فيه نكارة من حيث المعنى ففي القرآن أنه تعالى دحاها في الدنيا , كما قال تعالى : (وَالأَرْضَ

بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) , فكونه يدحوها يوم القيامة ليس بممتنع لكن إثبات اللفظ يحتاج إلى حديث صحيح , والثابت أنه تعالى يقبضها كما في القرآن وفي الحديث الصحيح , وصح في الحديث المتفق عليه أنه تعالى يتكفؤ الأرض , فعن أبي سعيد ﷺ قال ﷺ : (تَكُونُ الْأَرْضُ يوم الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بيده كما يَكْفَأُ أحدكم خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ) . قال النووي : (ويكفأها بالهمزة , وروي في غير مسلم (يتكفأها) بالهمز أيضاً , وخبزة المسافر هي التي يجعلها في الملة , ويتكفأها بيديه: أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي ؛ لأنها ليست منبسطة كالرقاقة ونحوها) , وقال البغوي : (فإنها لا تدحى كالرقاقة ، وإنما تقلب على الأيدي حتى تستوي) شرح السنة (114/15) , وإذا صح كلام البغوي , يكون لفظ الدحو في الأثر منكراً , لأن التكفؤ غير الدحو , إلا أن يكون يقع الجميع فهذا إذا ثبت اللفظ , والشيخ لم يعتمد عليه لكن ذكره شاهداً للحديث الصحيح , وإذا لم يثبت الأثر فلا طعن في ذلك على الشيخ لأنه لم يحتج به , وكم من العلماء من ذكر أحاديث لا تثبت , حتى في كثير من الكتب الستة , والله أعلم .

وأما الحديث الرابع : والذي فيه أن النبي ﷺ قال لعلي : (يا علي عُمّ فإن فضل العموم على الخصوص كفضل السماء على الأرض) فهو في المراسيل لأبي داود (ص 115) , وليس في السنن فالظاهر أن الشيخ وهم فيه رحمه الله , وقد بينت أن الوهم اليسير يقع فيه كبار الحفاظ , ولم يكن ذلك قادحاً فيهم مع سعة محفوظاتهم , ولله الحمد.

وأما الحديث الخامس : وزيادة : (فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يسعى) فليست في الصحيح , ويعلم أدنى طالب علم بالحديث أن هذه الزيادة ليست في الصحيح , لكن الشيخ يقصد أصل الحديث في الصحيح , لذلك ذكره في موطن آخر بلفظه , وهذه الطريقة يتبعها بعض الحفاظ كالبغوي والبيهقي وغيرهما , إذا قال أحدهم عن حديث إنه في البخاري أو في مسلم فقد يريدان أصل الحديث , يقول النووي في التقريب ص 1: (وكذا ما رواه البيهقي ، والبغوي ، وشبههما قائلين : رواه البخاري أو مسلم ووقع في بعضه تفاوت في المعنى ، فمرادهم أنهما رويا أصله , فلا يجوز أن تنقل منهما حديثاً وتقول هو هكذا فيهما إلا أن تقابله بهما , أو يقول المصنف أخرجاه بلفظه) وانظر: تدريب الراوي (112/1).

والشيخ صحح هذه الزيادة وهو يريد بها الرد على الحلولية الذين فهموا الحلول من هذا الحديث , والله أعلم .

****

الشبهة الثالثة والثلاثون

ابن كثير يجيز التبرك بابن تيمية

قال ابن كثير في ترجمته لشيخه ، ابن تيمية : (توفي بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوساً بها، وحضر جمع كثير إلى القلعة ، وأذن لهم في الدخول عليه ، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرؤوا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله ، ثم انصرفوا ، ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن , وقد تضاعف اجتماع الناس على ما تقدم ذكره ، ثم تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها ، ثم حمل بعد أن صلّي عليه على الرؤوس والأصابع ، وخرج النعش به من باب البريد , واشتد الزحام وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدعاء له , وأما الرجال فحُزروا بستين ألفاً إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتي ألف ، وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله ، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به ، ودفع في الخيط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهماً ، وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهماً. وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير ، وتضرع وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد ، وتردد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ليلاً ونهاراً يبيتون عنده واقتصروا على من يغسله) البداية والنهاية .

جواب الشبهة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله , وبعد , فابن كثير رحمه الله ينقل هذا عن العوام أو عن غيرهم , ولا يلزم من ذلك أنه يقرُّه , والظاهر أن ذاك المجتمع كثر فيه أثر الصوفية على العامة كما تدل عليه هذه القصص , لكن كون العامة يفعلون ذلك مع الشيخ يدل

على تعظيمهم له , وهذا هو المراد من ذكر ابن كثير له , وإن كنا لا نقرهم على ما يخالف السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحية.

****

الشبهة الرابعة والثلاثون

ابن تيمية يبتدع أذكار فلماذا الإنكار على الصوفية

الصوفية يقولون : أن ابن تيمية ابتدع أذكاراً فلماذا تنكرون على الصوفية , وهذه أذكاره مع تحديد العدد والوقت , وفائدة الذكر , فأين الدليل من الكتاب والسنة على ما يقوله ابن تيمية رحمه الله ؟؟

1- قال ابن القيم رحمه الله تعالى مدارج السالكين (448/1) : (ومن تجريبات السالكين التي جربوها فألفوها صحيحة : أن من أدمن يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت أورثه ذلك حياة القلب والعقل , وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه شديد اللهج بها جداً وقال لي يوما : لهذين الاسمين وهما (الحي القيوم) تأثير عظيم في حياة القلب , وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم , وسمعته يقول : من واظب أربعين مرة كل يوم بين سُنَّةِ الفجر وصلاة الفجر على : يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث حصلت له حياة القلب , ولم يمت قلبه " . اهـ

2- جاء في كتاب: (الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للحافظ عمر بن علي البزار)الفصل الرابع :في ذكر تعبده: (وكان قد عرفت عادته ؛ لا يكلمه أحد بغير ضرورة بعد صلاة الفجر , فلا يزال في الذكر يُسمع نفسه وربما يسمع ذكره من إلى جانبه ، مع كونه في خلال ذلك يكثر في تقليب بصره نحو السماء . هكذا دأْبُه حتى ترتفع الشمس ويزول وقت النهي عن الصلاة , وكنت مدة إقامتي بدمشق ملازمه جل النهار وكثيراً من الليل, وكان يدنيني منه حتى يجلسني إلى جانبه ، وكنت أسمع ما يتلو وما يذكر حينئذ ، فرأيته يقرأ الفاتحة ويكررها ويقطع ذلك الوقت كله - أعني من الفجر إلى ارتفاع الشمس - في تكرير تلاوتها , ففكرت في

ذلك ؛ لِمَ قد لزم هذه السورة دون غيرها؟ فبان لي والله أعلم أن قصده بذلك أن يجمع بتلاوتها حينئذ ما ورد في الأحاديث ، وما ذكره العلماء : هل يستحب حينئذ تقديم الأذكار الواردة على تلاوة القرآن أو العكس؟ فرأى رضي الله عنه أن في الفاتحة وتكرارها حينئذ جمعاً بين القولين وتحصيلاً للفضيلتين ، وهذا من قوة فطنته وثاقب بصيرته).

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد , فابن القيم ذكر أن ذلك من تجريبات السالكين , فهو من باب التداوي , ومن أنواع أدوية القلب لا من باب الذكر التوقيفي , وحينئذ يستعمل ذلك الدواء كغيره من الأدوية إلى أن يزول المرض بخلاف الأذكار فدائمة , والتداوي سواء بالأعشاب ونحوها أو بالقرآن وهو أعظم دواء إذا جرّب بعدد معين وصحت التجربة فلا حرج في استعماله بذلك العدد , ولو لم يرد عليه دليل في دواء معين منه فالقرآن كله شفاء , فمن جرب آية بعدد معين لمرض معين فوجده نافعاً فلا حرج في ذلك , لذلك تجد الذين يرقون الناس من العين أو المس أو غيرها يقرؤون آيات كثيرة فإذا ما تأثر المريض عند آية معينة كرروها كثيراً فيجدون لها نفعا عظيماً , وكذلك الإنسان إذا رق قلبه عند آية معينة يشرع له تكرارها ولو إلى الصباح , ولكن في نفسي شيء من تحديد ذلك بوقت معين وهو مابين الأذان والإقامة من صلاة الفجر , لم أجد له وجهاً , ولكن لعله التجربة أيضاً, فإنه معلوم عند الأطباء أن من الأدوية ما لا بد من تناوله في وقت محدد , فلعل هذا منه, والله أعلم . وأما تكرار الفاتحة فكتكرار غيرها من القرآن , ولم يجعل له عدداً معين , وله أصل من السنة , ومن أفعال بعض الصحابة , وكثير من السلف , فعن أبي ذر ﷺ يقول قام النبي ﷺ بِآيَةٍ حتى أَصْبَحَ يُرَدِّدُهَا وَالْآيَةُ : (إن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لهم فَإِنَّكَ أنت الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) رواه أحمد والنسائي وابن ماجة , وله شاهد من حديث أُبي وصححه جمع من أهل العلم , وتكرار سورة الفاتحة أو غيرها أفضل من قراءة سور كثيرة غيرها في نفس الوقت لما في التكرار من التدبر والتأثير , لذلك جاء عن مُحَمَّد بن كعب القرظي أنه قال : لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بإذا زلزلت والقارعة لا أزيد عليهما , وأتردد فيهما وأتفكر أحب إلي من أن أهُذَّ القرآن ليلتي هذا , أو قال أنثره نثراً . أخرجه أبو نعيم , وكذا لو كرر أحد سورة الإخلاص أو آية الكرسي

في بعض الأوقات أو كرر الصلاة على النبي ﷺ من غير أن يشغله ذلك عن واجب أو عن ما هو أفضل فهو خير كثير لما فيها وغيرها من الآيات والسور من فضائل خاصة , وأما الأذكار التي يداوم عليها المسلم فتوقيفية , بخلاف ما يراد للتداوي وعرف بالتجربة , وبه يتبين الفرق بين فعل الشيخ وفعل ضلال الصوفية , فالشيخ يقرر أن الأذكار توقيفية , ويبين كيفية الضلال في الأذكار , وقد سئل رحمه الله عمن يقول : أنا أعتقد أن من أحدث شيئاً من الأذكار غير ما شرعه رسول الله ﷺ وصح عنه : أنه قد أساء وأخطأ , إذ لو ارتضى أن يكون رسول الله ﷺ نبيه وإمامه ودليله لاكتفى بما صح عنه من الأذكار , فعدوله إلى رأيه واختراعه جهل وتزيين من الشيطان وخلاف للسنة , إذ الرسول لم يترك خيراً إلا دلنا عليه وشرعه لنا , ولم يدخر الله عنه خيراً بدليل إعطائه خير الدنيا والآخرة , إذ هو أكرم الخلق على الله فهل الأمر كذلك أم لا ؟ فأجاب : (الحمد لله : لا ريب أن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات والعبادات مبناها على التوقيف والإتباع لا على الهوى والابتداع , فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحرى من الذكر والدعاء , وسالكها على سبيل أمان وسلامة , والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبِّر عنه لسان ولا يحيط به إنسان , وما سواها من الأذكار قد يكون محرماً , وقد يكون مكروها , وقد يكون فيه شرك مما لا يهتدي إليه أكثر الناس , وهى جملة يطول تفصيلها , وليس لأحد أن يسن للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون , ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس , بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به , بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سنة , فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرماً لم يجز الجزم بتحريمه , لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به , وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت فهذا وأمثاله قريب , وأما اتخاذ ورد غير شرع ي واستنان ذكر غير شرعي , فهذا مما ينهى عنه , ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ونهاية المقاصد العلية , ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد) مجموع الفتاوى(511/22) . والله أعلم .

****

الشبهة الخامسة والثلاثون

ابن تيمية يعلم الغيب وأمور المستقبل

يقول المخالفين أن ابن تيمية يعلم الغيب , ويستندون على أقوال وقصص من كتاب (الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية) , وكتاب (العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية)وهذه النقول منهما , ففي العقود الدرية هذه الأبيات :

وله مقام في الوصول لربه ومقامه نطقت بها الأقتام

وله فتوح من غيوب إلهه وتحزُّن وتمسكُنٌ وكلام

وذكر الإمام الحافظ أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزار في كتابه (الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (في الفصل التاسع في ذكر بعض كراماته وفراسته حيث قال : (أخبرني غير واحد من الثقات ببعض ما شاهده من كراماته , وأنا أذكر بعضها على سبيل الاختصار , وأبدأ من ذلك ببعض ما شاهدته .. فمنها اثنين جرى بيني وبين بعض الفضلاء منازعة في عدة مسائل , وطال كلامنا فيها , وجعلنا نقطع الكلام في كل مسألة بأن نرجع إلى الشيخ وما يرجحه من القول فيها , ثم أن الشيخ ﵁ حضر فلما هممنا بسؤاله عند ذلك سبقنا هو وشرع يذكر لنا مسألة مسألة كما كنا فيه, وجعل يذكر غالب ما أوردناه في كل مسأله , ويذكر أقوال العلماء ثم يرجح منها ما يرجحه الدليل حتى أتى على آخر ما أردنا أن نسأله عنه , وبين لنا ما قصدنا أن نستعلمه منه , فبقيت أنا وصاحبي ومن حضرنا أولاً مبهوتين متعجبين مما كاشفنا به وأظهره الله عليه مما كان في خواطرنا , وكنت في خلال الأيام التي صحبته فيها إذا بحث مسأل ة يحضر لي إيراد فما يستتم خاطري به حتى يشرع فيورده ويذكر الجواب من عدة وجوه.

وحدثني الشيخ الصالح المقريء أحمد بن الحريمي أنه سافر إلى دمشق قال فاتفق أني لما قدمتها لم يكن معي شيء من النفقة البتة , وأنا لا اعرف أحدا من أهلها فجعلت أمشي في زقاق منها كالحائر , فإذا بشيخ قد أقبل نحوي مسرعاً فسلم وهش في وجهي , ووضع في يدي

صرة فيها دراهم صالحة , وقال لي : انفق هذه الآن وخلي خاطرك مما أنت فيه فإن الله لا يضيعك , ثم رد على أثره كأنه ما جاء إلا من أجلي , فدعوت له وفرحت بذلك . وقلت لبعض من رأيته من الناس : من هذا الشيخ؟ فقال : وكأنك لا تعرفه هذا ابن تيمية لي مدة طويلة لم أره اجتاز بهذا الدرب , وكان جل قصدي من سفري إلى دمشق لقاءه , فتحققت أن الله أظهره علي وعلى حالي , فما احتجت بعدها إلى أحد مدة إقامتي بدمشق , بل فتح الله علي من حيث لا احتسب , واستدللت فيما بعد عليه وقصدت زيارته والسلام عليه , فكان يكرمني ويسألني عن حالي فاحمد الله تعالى إليه.

وحدثني الشيخ العالم المقريء تقي الدين عبدالله ابن الشيخ الصالح المقرئ أحمد بن سعيد قال : سافرت إلى مصر حين كان الشيخ مقيماً بها , فاتفق أني قدمتها ليلاً وأنا مثقل مريض , فأنزلت في بعض الأمكنة فلم ألبث أن سمعت من ينادي باسمي وكنيتي فاجبته , وأنا ضعيف فدخل إلي جماعة من أصحاب الشيخ ممن كنت قد اجتمعت ببعضهم في دمشق , فقلت : كيف عرفتم بقدومي وأنا قدمت هذه الساعة , فذكروا أن الشيخ أخبرنا بأنك قدمت وأنت مريض , وأمرنا أن نسرع بنقلك وما رأينا أحداً جاء ولا أخبرنا بشيء فعلمت أن ذلك من كرامات الشيخ ﷺ .

وحدثني أيضا قال : مرضت بدمشق إذ كنت فيها مرضة شديدة منعتني حتى من الجلوس فلم أشعر إلا والشيخ عند رأسي وأنا مثقل مشتد بالحمى والمرض , فدعا لي وقال – يعني ابن تيمية : – جاءت العافية فما هو إلا أن فارقني وجاءت العافية وشفيت من وقتي .

إلى أن قال : ورأيت ذلك حالاً من أحوال الشيخ ومن كرامته على الله تعالى , وحدثني أيضا قال : أخبرني الشيخ ابن عماد الدين المقريء المطرز قال : قدمت على الشيخ ومعي حينئذ نفقة فسلمت عليه فرد علي ورحب بي وأدناني , ولم يسألني هل معك نفقة أم لا فلما كان بعد أيام ونفدت نفقتي أردت أن اخرج من مجلسه بعد أن صليت مع الناس وراءه , فمنعني وأجلسني دونهم , فلما خلا المجلس دفع إلي جملة دراهم وقال : أنت الآن بغير نفقة فارتفق بهذه , فعجبت من ذلك وعلمت أن الله كشفه على حالي أولاً لما كان معي نفقة وآخراً لما نفدت واحتجت إلى نفقة . وحدثني من لا أتهمه أن الشيخ ﷺ حين نزل المغل بالشام لأخذ دمشق وغيرها رجف أهلها وخافوا خوفاً شديداً , وجاء إليه جماعة منهم وسألوه

الدعاء للمسلمين , فتوجه إلى الله ثم قال : أبشروا فإن الله يأتيكم بالنصر في اليوم الفلاني بعد ثالثة حتى ترون الرؤوس معبأة بعضها فوق بعض.

قال الذي حدثني: فوالذي نفسي بيده أو كما حلف ما مضى إلا ثلاث مثل قوله حتى رأينا رؤوسهم كما قال الشيخ على ظاهر دمشق معبأة بعضها فوق بعض . وحدثني الشيخ الصالح الورع عثمان بن احمد بن عيسى النساج : أن الشيخ ﷺ كان يعود المرضى بالبيمارستان بدمشق في كل أسبوع فجاء على عادته فعادهم فوصل إلى شاب منهم فدعا له فشفي سريعاً . وجاء إلى الشيخ يقصد السلام عليه فلما رآه هش له وأدناه ثم دفع إليه نفقة , وقال : قد شفاك الله فعاهد الله أن تعجل الرجوع إلى بلدك أيجوز أن تترك زوجتك وبناتيك أربعاً ضيعة وتقيم ها هنا ؟ فقبل يده وقال : يا سيدي أنا تائب إلى الله على يدك , وقال الفتى : وعجبت مما كاشفني به وكنت قد تركتهم بلا نفقة ولم يكن قد عرف بحالي أحد من أهل دمشق.

وحدثني من أثق به أن الشيخ ﷺ أخبر عن بعض القضاة أنه قد مضى متوجها إلى مصر المحروسة ليقلد القضاء , وأنه سمعه يقول : حال ما أصل إلى البلد قاضياً احكم بقتل فلان رجل معين من فضلاء أهل العلم والدين , قد أجمع الناس على علمه وزهده وورعه , ولكن حصل في قلب القاضي منه من الشحناء والعداوة ما صوب له الحكم بقتله فعظم ذلك على من سمعه خوفا من وقوع ما عزم عليه من القتل لمثل هذا الرجل الصالح , وحذراً على القاضي أن يوقعه الهوى والشيطان في ذلك فيلقى الله متلبساً بدم حرام , وفتك بمسلم معصوم الدم بيقين , وكرهوا وقوع مثل ذلك لما فيه من عظيم المفاسد , فأبلغ الشيخ ﷺ هذا الخبر بصفته فقال : إن الله لا يمكنه مما قصد ولا يصل إلى مصر حياً , فبقى بين القاضي وبين مصر قدر يسير وأدركه الموت فمات قبل وصولها , كما أجرى الله تعالى على لسان الشيخ ﷺ) .

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد , أما البيتين فليست لابن عبدالهادي رحمه الله , لكن هي كما قال لرجل جندي بالديار المصرية يقال له : بدر الدين مُحَمَّد بن عز الدين أندمن المغيثي رجل فاضل له محفوظات متنوعة وفيه ديانة وصلابة في دينه , أرسلها وذكر أنه عرضها على الإمام أبي حيان , وهي ضمن قصيدة طويلة , فيها هذين البيتين , وليس فيهما ما ينكر , فكون له فتوح من

غيوب إلهه , فهو مثل ما في هذا النقل عن الحافظ البزار , فهذا وأمثاله يصدِّق به أهل السنة الذين يؤمنون بكرامات الأولياء وما يجريه الله على أيديهم من الخوارق والمكاشفات وإطلاعهم على شيء من الغيوب لكن ليس مطلقاً كما يزعمه ضلال الصوفية , بل هو شيء نسبي في بعض الأحايين , وبعضه إلهامات أو من أنواع الفراسة , ولا ينكر هذا إلا مسفسط أو جاهل , وقد صنف في كرامات الأولياء كتب كثيرة فيها نحو هذا وغيره عن الصحابة رضوان الله عليهم ومن قبلهم ومن بعدهم , وهو دليل صلاحه وتقواه ﵁ .

****

الشبهة السادسة والثلاثون

ابن تيمية يكذب على الإمام احمد

قالت الصوفية : إن ابن تيمية لا يمثل عقيدة الإمام احمد , بل يدلس ويكذب على الإمام احمد!! قال ابن تيمية :أن لفظ الجسم والعرض والمتحيز ونحو ذلك ألفاظ اصطلاحية , وقد قدمنا غير مرة أن السلف والأئمة لم يتكلموا في ذلك في حق الله لا بنفي ولا بإثبات بل بدَّعوا أهل الكلام بذلك وذموهم غاية الذم) بيان تلبيس الجهمية (100/1) وقال : (وكثير ممن تكلم بالألفاظ المجملة المبتدعة كلفظ الجسم والجوهر والعرض وحلول الحوادث ونحو ذلك ؛ كانوا يظنون أنهم ينصرون الإسلام بهذه الطريقة , وأنهم بذلك يثبتون معرفة الله وتصديق رسوله , فوقع منهم من الخطأ والضلال ما أوجب ذلك , وهذه حال أهل البدع كالخوارج وأمثالهم) درء التعارض (104/2) .

وأما الإمام احمد فقد نقل الإمام البيهقي في كتابه مناقب الإمام أحمد عن الإمام أحمد ما نصه: (أنكر أحمد على من قال بالجسم ، وقال : إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة ، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف , والله سبحانه خارج عن ذلك كله ، فلم يجز أن يسمى جسماً لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجيء في الشريعة ذلك فبطل) انتهى . وهذا الكلام بنصه وارد في ذيل طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى منسوباً إلى الإمام أحمد (298/2).

وورد في ذيل طبقات الحنابلة في ذكر عقيدة الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه :(كان الإمام أحمد – رحمه الله – يقول : إن لله تعالى يدين , وهما صفة له في ذاته ، ليستا بجارحتين ، وليستا بمركبتين ، ولا جسم ولا من جنس الأجسام ، ولا من جنس المحدود والتركيب والأبعاض والجوارح ، ولا يقاس على ذلك ، ولا له مرفق ، ولا عضد ، ولا فيما يقتضى ذلك من إطلاق قولهم : (يد) إلا ما نطق القرآن الكريم به ، أو صحَّت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم السنة فيه) ذيل طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى منسوبا إلى الإمام أحمد(298/2) . وفي ذيل الطبقات أيضا أن الإمام أحمد كان يقول: (والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبدل ، ولا يلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش) (297/02) .

جواب الشبهة

الحمد لله , وبعد , فهذه النقول عن الإمام أحمد كلها منقولة عن رسالة مكذوبة على الإمام , وهي منسوبة إلى الخلال , وهذا كذب , فالرسالة إسنادها المدون في أولها والذي نقله أيضاً أبو يعلى في ذيل الطبقات هو : (أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو مُحَّد المبارك بن علي بن الحسين بن عبدالله ابن مُحَّد المعروف بابن الطباخ البغدادي رحمه الله في الدنيا والآخرة إجازة قال حدثنا شيخنا الإمام الحافظ أبو الفضل مُحَّد بن الناصر ابن مُحَّد بن على البغدادي بها قال أخبرنا الإمام جمال الإسلام أبو مُحَّد رزق الله بن عبدالوهاب التميمي قال أخبرنا عمي أبو الفضل عبدالواحد بن عبدالعزيز التميمي بجميع هذا الاعتقاد وقال : جملة اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل ﷺ والذي كان يذهب إليه) فهي من كلام أبي الفضل التميمي هذا إن صح الإسناد عنه , ومع ذلك فهو ولد سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة , والإمام أحمد توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين , فبين موت أحمد وولادة أبي الفضل مائة سنة , فأنى تثبت هذه الرسالة , ولكن طريقة بعض الفقهاء أنهم إذا ظنوا في عقيدة اعتقدوها أنها صحيحة نسبوها للأئمة , لظنهم أن الأئمة لا يخالفونها , وهذا منهج فاسد , وأيضاً فمن قرأها وفيها هذه النقول عن الإمام الواردة في السؤال يقطع ببراءة الإمام أحمد منها قطعاً لا تردد فيه , فأحمد إمام أهل السنة كلامه معروف ومحفوظ , ليس فيه شيء خلاف السنة , بل قال أحمد في رسالته إلى المتوكل : (ولست بصاحب كلام ولا أحب الكلام في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة أو التابعين لهم بإحسان , وأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود) قال الذهبي بعد أن ذكر هذه الرسالة : (قلت : رواة هذه الرسالة عن أحمد أئمة أثبات ، أشهد بالله أنه أملاها على ولده . وأما غيرها من الرسائل المنسوبة إليه كرسالة الإصطخري ففيها نظر . والله أعلم) تاريخ الإسلام (136/18) , فهذا كلام الذهبي عن رسالة الاصطخري فما بالك بهذه الرسالة التي كلها بدع وكلام مذموم , سبحانك هذا بهتان عظيم , ومما يبين ذلك قول الإمام أحمد : (لا يوصف الله إلا بما و صف به نفسه , ووصفه به رسوله , لا يتجاوز القرآن و الحديث) , فالحمد لله .

****

الشبهة السابعة والثلاثون

ابن تيمية يتنقص الإمام علي ابن أبي طالب

يُكثر المتصوفة من تناقل هذه الفرية عن شيخ الإسلام ابن تيمية , فهذا محمود صبيح في كتابه (أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله وأهل بيته) يقول :(عند مقارنة ابن تيمية بين أصحاب رسول الله ﷺ قال في منهاجه (7/ 137-138) : (ولم يكن كذلك على ، فإن كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونه ويقاتلونه) قلت: حب ابن تيمية لتنقيص الإمام على رضالله عنه وتهوين قدره ، هي الجعله يتخيل أن كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونه . وكيف لا يحبونه وهم يعلمون قول النبي ﷺ لعلى رضله عنه:(لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) . وكيف يبغضونه وقد روى الإمام البخاري قول النبي ﷺ : (أنت مني وأنا منك) ، وكيف يبغضونه وهم الذي رووا كما في الصحيحين عنه ﷺ : (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي) ، وهم الذي رووا : (من كنت مولاه فعلى مولاه) ، وكيف يبغضونه ويسبونه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في البخاري ومسلم وغيرهما يوم خيبر : (لأعطين الراية غداً رجلا يفتح على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) ، فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى ، فغدوا كلهم يرجونه , فقال : (أين علي) ؟ فقيل : يشتكي عينية ، فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع , زاد مسلم من قول عمر بن الخطاب ﷺ : ما أحببت الإمارة إلا يؤمئذ . فمن من الصحابة كان يبغض علياً بعد قول النبي ﷺ ما قال , وما حدث من شجار بين علي بن أبي طالب وبعض الصحابة في حياة النبي ﷺ فقد نهاهم النبي ﷺ عن ذلك بأشد الألفاظ كما مر من قبل . وأما قتال بعض الصحابة له ، فأنت تعلم أن السيدة عائشة ندمت على ذلك عندما سمعت كلاب الحوأب تنبح عليها .. وهناك آثار كثيرة في تذكير الإمام علي لطلحة والزبير ﷺ بما قاله النبي ﷺ للزبير : (أتحبه فإنك تقاتله وأنت له ظالم) . وهناك العديد من الآثار تفيد أن الزبير وطلحة أرادا الرجوع من موقعة الجمل فقتلا أثناء رجوعهما . ومع قتال الأئمة بعضهم لبعض فقد كان أدبهم مع بعضهم معروفاً فقد رباهم النبي ﷺ وانظر إلى أقوال المفسرين لما ورد في قول الله عز وجل : (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) تجد مايسرك . وإذا كان ابن تيمية يذكر أنه من التابعين أي الذي عاشوا زمان الصحابة من أبغضوا علياً وسبوه فليس لنا طائفة منهم , فالحق أنه لم يكن ذلك إلا من الخوارج فهل الخوارج هم سلف ابن تيمية ؟)) أنتهى

جواب الشبهة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا مُحَّد وعلى آله وأصحابه وعلى من اهتدى بهديه وسار على منهاجه ودعا بدعوته إلى يوم الدين , وبعد ؛ فقول هذا الرجل المعتدي الجاهل: (حب ابن تيمية لتنقيص الإمام على ﷺ وتهوين قدره هو الذي جعله يتخيل أن كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونه) هو افتراء وبهتان نؤجله إلى أن يحكم الله بيننا يوم القيامة , فمن المعلوم بضرورة العقل أن ما ذكره شيخ الإسلام عن موقف بعض الأصحاب ﷺ وبعض التابعين من أمير المؤمنين علي لا يلزم منه كونه يبغض علياً أو يحب تنقيص أمير المؤمنين ﷺ , بل سوء الظن هذا يشبه قول الرافضة : من أحب أبا بكر وعمر فقد أبغض علياً , من حيث أنه لا تلازم بين القضيتين , كيف وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يصرح في كثير من كتبه بتعظيم علي – ﷺ- ويبرأ من طريقة الناصبة كما سيأتي , لكن هو هنا يحكي ما وقع , ولكل مقام مقال , فمقام ذكر مناقب علي وتفضيله على من قاتله غير مقام المقارنة بينه وبين الصديق , وسواء أصاب شيخ الإسلام في قوله هذا أو أخطأ لا يلزم منه أنه يبغض أمير المؤمنين , لكن كتب التاريخ فيها آثار التي فيها التصريح من بعض الصحابة بأنه يبغض علياً وإن كان ذلك لم يضره ﷺ وعنهم ؛ ولأنها من أجل الدنيا لا الدين, ثم إنه قد يقال : المقاتلة والسب من لوازمهما البغض عند الكثير من الخلق , لكن هذا البغض هو من وجه دون وجه , فليس بغضهم لعلي من أجل دينه بل لأمور أخرى , فلا تنزَّل عليهم الأحاديث التي تنهى عن بغض علي , وهؤلاء الصحابة الذين أبغضوا علياً ﷺ وعنهم لم يكونوا كل الصحابة بل أكثر الصحابة ينكرون هذا في آثار كثيرة, ويروون فضائل هذا الإمام , وبعض هؤلاء المبغضين تاب من ذلك , وفي صحيح البخاري (4093) عن عبد اللَّهِ بن بُرَيْدَةَ عن أبيه ﷺ قال : بَعَثَ النبي ﷺ عَلِيًّا إلى خَالِدٍ لِيَقْبِضَ الْخُمُسَ , وَكُنْتُ أُبْغِضُ عَلِيًّا , وقد اغْتَسَلَ , فقلت لِخَالِدٍ : ألا تَرَى إلى هذا فلما قَدِمْنَا على النبي ﷺ ذَكَرْتُ ذلك له , فقال: يا بُرَيْدَةُ أَتُبْغِضُ عَلِيًّا ؟ فقلت نعم , قال : لَا تُبْغِضْهُ فإن له في الْخُمُسِ أَكْثَرَ من ذلك) , وفي صحيح مسلم (1757) عن مالك بن أوس قال لعمر : هل لك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ في عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرحمن بن عَوْفٍ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ , فقال عُمَرُ : نعم , فَأَذِنَ لهم فَدَخَلُوا ثُمَّ جاء فقال : هل لك في عَبَّاسٍ وَعَلِيٍّ ؟ قال : نعم , فَأَذِنَ لَهُمَا , فقال عَبَّاسٌ : يا

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هذا الْكَاذِبِ الْآثِمِ الْغَادِرِ الْخَائِنِ , فقال الْقَوْمُ : أَجَلْ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاقْضِ بَيْنَهُمْ وَأَرِحْهُمْ), ولم أقف على أثر فيه سب من صحابي أو تابعي جليل لعلي ﷺ من أجل دينه أبداً , بل الجميع يحبونه ويجلونه , وفي تراجم التابعين أن كثيراً منهم كان ناصبياً يبغض علياً ﷺ , وهم يتهمونه بأنه يحب الخلافة ويحب الدنيا ونحو ذلك مما رفع الله أمير المؤمنين علي –ﷺ – عنه , و في لسان الميزان (385/1) : (أسد بن وداعة شامي من صغار التابعين ناصبي يسب , قال ابن معين : كان هو وأزهد الحراني وجماعة يسبون علياً, وقال النسائي : ثقة . انتهى , وبقية كلام بن معين من رواية الدوري عنه : وكان ثور لا يسب عليا فإذا لم يسب جروا برجله , ونقله أبو العرب وقال بعده : من سب الصحابة فليس بثقة ولا مأمون , وذكره بن حبان في الثقات , وقال روى عن شداد بن أوس روى عنه أهل الشام وكان عابداً قتل سنة ست أو سبع وثلاثين ومائة) , وفي سنن البيهقي عن شقيق بن سلمة قال: (لم يسب علي ﷺ يوم الجمل ولا يوم النهروان) , وهذا يدل أنه سُب بعد ذلك , بل كان ﷺ يُسبُّ في الدولة الأموية على المنابر , منذ خلع السيد الحسن ﷺ نفسه إلى أن أبطل ذلك عمر بن عبدالعزيز رحمه الله , وهو يدل أن زمن بني أمية زمن سوء , ففي تبيين كذب المفتري ص109: (ولهم في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أسوة حسنة ؛ فقد كان يسب على المنابر في الدولة الأموية نحواً من ثمانين سنة , فما ضرَّ ذلك علياً رضوان الله عليه) . ولم يحصل مثل هذا للصديق ﷺ , ولم يحصل له نحو تلك المواقف التي حصلت مع علي , وهو من أدلة تفضيله على علي والأدلة على ذلك قطعية مجمع عليها عند أهل السنة , وهذا مراد شيخ الإسلام , وشيخ الإسلام كان يتبرأ من طريقة النواصب , ويجعل ذلك من أصول أهل السنة , يقول في عقيدته التي هي أهم متون أهل السنة اليوم يعتنون بها ويدرسونها ويقررونها في المعاهد والمساجد وهي العقيدة الواسطية يقول فيها عن أهل السنة : (ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم , ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل) , ويقول بعد أن ذكر خلافة الأربعة : (ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله) . ويقول في منهاج السنة (165/8) : (فضل علي وولايته لله وعلو منزلته عند الله معلوم ولله الحمد من طرق ثابتة أفادتنا العلم اليقيني). ويقول فيها (396/4): (ليس من أهل السنة من يجعل بغض على طاعة ولا

حسنة ولا يأمر بذلك , ولا من يجعل مجرد حبه سيئة ولا معصية ولا ينهى عن ذلك , وكتب أهل السنة من جميع الطوائف مملوءة بذكر فضائله ومناقبه , وبذم الذين يظلمونه من جميع الفرق , وهم ينكرون على من سبه وكارهون لذلك , وما جرى من التساب والتلاعن بين العسكرين من جنس ما جرى من القتال , وأهل السنة من أشد الناس بغضاً وكراهة ؛ لأن يتعرض له بقتال أو سب بل هم كلهم متفقون على أنه أجل قدراً وأحق بالإمامة وأفضل عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من معاوية وأبيه وأخيه الذي كان خيراً منه, وعلي أفضل ممن هو أفضل من معاوية ﷺ , فالسابقون الأولون الذين بايعوا تحت الشجرة كلهم أفضل من الذين أسلموا عام الفتح , وفي هؤلاء خلق كثير أفضل من معاوية , وأهل الشجرة أفضل من هؤلاء كلهم , وعلي أفضل جمهور الذين بايعوا تحت الشجرة , بل هو أفضل منهم كلهم إلا الثلاثة , فليس في أهل السنة من يقدم عليه أحداً غير الثلاثة , بل يفضلونه على جمهور أهل بدر وأهل بيعة الرضوان وعلى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار , وما في أهل السنة من يقول إن طلحة والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف أفضل منه , بل غاية ما قد يقولون السكوت عن التفضيل بين أهل الشورى , وهؤلاء أهل الشورى عندهم أفضل السابقين الأولين والسابقون الأولون أفضل من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا) , وقال في المنهاج أيضاً (76/8) : (لا ريب أن علياً ﷺ كان من شجعان الصحابة , وممن نصر الله الإسلام بجهاده , ومن كبار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار , ومن سادات من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) . ويقول في المنهاج (395/4) : (أهل السنة يحبون الذين لم يقاتلوا علياً أعظم مما يحبون من قاتله, ويفضلون من لم يقاتله على من قاتله كسعد بن أبي وقاص وأسامة بن زيد ومُحَّد بن مسلمة وعبد الله بن عمر ﷺ , فهؤلاء أفضل من الذين قاتلوا علياً عند أهل السنة , والحب لعلي وترك قتاله خير بإجماع أهل السنة من بغضه وقتاله , وهم متفقون على وجوب موالاته ومحبته , وهم من أشد الناس ذباً عنه ورداً على من يطعن عليه من الخوارج وغيرهم من النواصب لكن لكل مقام مقال) , ولا تجد في مدح علي أحسن من هذا , وله كلام كثير في الثناء على علي ﷺ وعلى آل بيته ﷺ, وبهذا يظهر بجلاء موقف شيخ الإسلام المشرِّف من علي ﷺ وأهل البيت الأطهار , وعدله وإنصافه في المقارنة بين علي والشيخين , وكذب الحاقدين الظالمين عليه كهذا الرجل وأمثاله من المغمورين

, فرضي الله عن الصحابة أجمعين , وجزاه عن المسلمين خير الجزاء , وجمعنا بهم في جنات الفردوس أجمعين آمين .

الخاتمة

وفي نهاية الجواب عن هذه الشبهات , يتبين نقاء ساحة شيخ الإسلام ابن تيمية مما ألصقه به أعداؤه من الباطل , ويتبين أن ما رموه به لا يخرج عن صور إما أن سببه عدم فهم لكلامه , أو سوء ظن به مشوب بهوى وحسد , أو جهل بمذهب السلف الصالح , وبالكتاب والسنة , أو افتراء وبهتان , أو قصص ورسائل مكذوبة عليه أو على أصحابه , أو عدم فهم لمنهج المحدثين والعلماء , أو ضعف اطلاع وقلة باع , أو دعوى لا حقيقة لها, أو نسبة كلام له وليس له ولكن ينقله عن غيره , أو التمسك بالألفاظ المجملة التي يبين الشيخ مراده منها ومع ذلك يلزمونه بباطلها , أو أوهام لم يخل منها إمام , ومع كثرة مصنفاته وكثرة ما أوردة ورواه من أحاديث وآثار لم يظفروا منه على أوهام إلا بما لا يتجاوز عدد اليد الواحدة , ولو بلغت العشرين مع حفظه دلت على إتقانه وصدقه , والله أعلم , والحمد لله الذي بنعمته تتم

الصالحات , وصلى الله وسلم على نبينا مُحَّد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

فهرس الموضوعات